

# بعيداً عن الناس

توماس هاردي  
تبسيط : أ. ج. إير  
ترجمة : عبدالحميد الجمال  
مراجعة : مختار السويفي

## المؤلف

توماس هاردى شاعر وروائي حقق شهرة واسعة في عالم الأدب من خلال كتبه التي ألفها عن مملكة وسيقس Wessex . واذا بحثت عن هذه المملكة على الخريطة فلن تجدهما . فهي منطقة تقع في جنوب غرب إنجلترا . وكانت في يوم ما مملكة قائمة بذاتها ، وبها العديد من الآثار القديمة التي ترجع الى العصر الحجري والعصر الحديدي . ويقع قلب مملكة وسيقس في مقاطعة دورسيت . ومركز مقاطعة دورسيت هو مدينة دورشستر التي يسميها توماس هاردى باسم

وعنوان هذا الكتاب مأخوذ من قصيدة شهيرة كتبها الشاعر . توماس جراي ، وهي قصيدة تعقد مقارنة بين حياة القناعة والرضا والهدوء التي يعيشها الرجل القروي . وبين الجشع الصاحب لجماعير الناس القاطنين بالمدن . والغرور والأنانية للناس الجسابة الأقياء . وفي جو السلام الذي يسود إحدى مزارع دورسيت قام توماس هاردى بنسج قصة مثيرة حيث صور لنا كيف أن غرور المرأة ورغبتها الجامحة في جذب اعجاب الرجال بها قد جلب الموت والجنون على رجلين تنافسا على حبها . وبطل القصة وهو رجل قد نشأ في بيئة متواضعة بالمقارنة بالرجلين سالف الذكر كان شابا صغيرا يعمل بالرعي وكان يريد الفوز بتلك المرأة واتخاذها زوجة له ولكنه كان فقيرا للغاية وعلى نحو لا يرضى غرورها .

وقد ولد توماس هاردى في عام ١٨٤٠ في كوخ مسقوف بالقش في مكان لا يبعد كثيرا عن دورشستر . وتلقى علومه ودراسته في لندن عندما كان شابا صغيرا ، وكان يعود الى لندن ويتردد عليها من وقت

« كاستربردج » في رواياته عن مملكة وسيكس :  
« تحت الشجرة الخضراء » ، « بعيدا عن الناس » .  
« عودة المواطن » . « عمدة كاستربردج » ، « تيس أوف ديربرفيل » ، وغيرها . فهذه الروايات تعطينا صورة حية صادقة عن الحياة في دورسيت في منتصف القرن التاسع عشر . وهي صورة - على حد قول توماس هاردى نفسه - لم تتغير في خلال خمسمائة عام الا بقدر ضئيل للغاية . فنفس العائلات كانت تعمل في نفس المزارع عبر القرون الزمنية حيث كانت تعيش في أكواخ مسقوفة بالقش وقريبة من مبني الكنيسة القديمة ومن فندق القرية الصغير حتى يمكن للناس الاستمتاع بالصدقة والعشرة الطيبة والانتعاش البهيج عقب الانتهاء من انجاز الأعمال اليومية الشاقة .

ولم يكن الناس يشعرون بالرغبة في السفر والترحال . اذ كانوا قانعين بالفصول السنوية المتغيرة ويشعرون بالارتياح والرضاعن حياتهم التي تنحصر في حرت الاراضي وجنى المحاصيل والاعتناء بالنعاج في فترة الوضع والولادة وقص صوف الأغنام .

لآخر . ولذلك نجد أن مجتمع لندن كان يشكل خلفية لبعض كتاباته الا أن هذا المجتمع كان زائفا للغاية ، بحيث لم تنتج عنه روايات يمكن مقارنتها بالروايات الرائعة التي كتبها عن وسيكس .

وعندما توفي توماس هاردي في عام ١٩٢٩ وضع جثمانه في مقبرة كنيسة وستمنستر التي تضم رفات عظماء وأبطال الدولة . الا أن قلبه كان مدفونا في قرية دورسويت الهادئة مسقط رأسه وهي القرية التي كان قلبه يهفو إليها دائما .

## الفصل الأول

عندما كان « فارمر أوك » يبتسم كانت زاويتا فمه تنفرجان وتمتدان نحو أذنيه وتكاد عيناه تختفيان ، كما تظهر خطوط صغيرة حول عينيه شبيهة بالأشعة التي يرسمها الطفل لشروق الشمس .

كان الاسم الأول له هو « جبرييل » وهو في أيام العمل كان رجلا يتصف بالحكمة والرأى الصائب والشخصية الممتازة . أما في أيام الآحاد من كل أسبوع ، فقد كانت تسيطر عليه الآراء الغامضة ، كما

كانت العربية مطلية بالنون الأصفر ومزدانة  
بالوان زاهية بهيجة ومحلاة ببضائع منزلية . وفوق  
تلك البضائع كانت تجلس امرأة شابة جذابة . وبعد  
لحظات توقفت العربية في مكان قريب للغاية منه .

**وقال سائق العربية :** لقد طار باب العربية الخلفي  
يا آنسة !

**فقالت الفتاة بصوت عذب :** اذن فقد سمعت  
صوته وهو يسقط على الأرض . لقد سمعت صوتا لم  
أعرف مصدره عندما كنا نصعد التل !

**وقال سائق العربية :** سأرجع بسرعة للبحث  
عنه !

ووقف حصانه ساكنا تماما بينما كانت أصوات  
وقع أقدامه تتلاشى تدريجيا مع الابتعاد عن العربية .

وكانت الفتاة الجالسة فوق حمولة العربية ساكنة  
لا تبدى أية حركة . . كانت محاطة بامتعتها الخاصة  
بها والتي كانت تشتمل على طائر محبوبوس في قفص

كان يشعر بعدم الارتياح وهو يرتدى أفضل ثيابه . .  
كان يذهب الى الكنيسة في أيام الآحاد الا أنه - غالبا -  
ما كان يفكر في نوع الطعام الذي يمكن أن يتناوله  
في وجبة الغداء كلما أراد الاصغاء للخطبة الدينية التي  
يلقيها الكاهن على الحاضرين .

كان يمر بتلك الفترة المشرقة من حياة الانسان .  
اذ كان عقله وعاطفته في حالة انفصال واضح حيث  
لم يتحدوا بعد في داخل كيانه بتأثير نفوذ زوجة  
وأسرة . وقصارى القول أنه كان يبلغ من العمر ٢٨  
عاما وغير متزوج .

وفي صباح يوم محدد من شهر ديسمبر كان  
يسير عبر أحد حقوله الذي يقع على سفح تل نوركومب  
فوق الطريق الرئيسي الذي يؤدي الى تشوك نيوتن  
وكاستر برديج . وعندما التقى نظرة على سيباج من  
الشجيرات شاهد عربية يجرها حصان تصل الى المر  
الضيق بين السيباج وكان سائق العربية يسير الى  
جوارها .

وعندما انصرفت العربة خرج جبريل من خلف السياج وسار وراها حتى البوابة الواقعة عند سفح التل وهو المكان الذي ينبغي أن تتوقف عنده العربة من أجل دفع ضريبة المرور على الطريق . وعندما اقترب جبريل سمع حوارا يدور بين سائق العربة والبوب المسئول عن البوابة بشأن بنسين .

**وكان سائق العربة يقول :** ان سيدتى الصغيرة تقول انها قد قدمت لك ما فيه الكفاية وانها لن تدفع أكثر من ذلك .

**فقال البواب وهو يغلّق البوابة :** حسنا . لن تستطيع سيدتك الصغيرة المرور من البوابة . .

وراح جبريل ينتقل بصره بين البواب وسائق العربة . ثم تقدم وقدم بنسين للبواب **وقال :** دعها تمر !

فنظرت الفتاة ذات الشعر الأسود والجاكيت الأحمر لأسفل ورمقت جبريل بنظرة خالية من أى اهتمام وأمرت سائقها بمواصلة السير دون أن تعبر عن

وقطة حبيسة فى سلة . وبعد مرور بعض الوقت نظرت لأسفل . ولم تكن نظراتها منصبة على القطة أو الطائر وانما على ربطة موجودة بينهما . ثم أدارت رأسها لتتري ما اذا كان سائق العربة قد بدأ يرجع اليها . وبعدئذ قامت بفك الربطة واستخرجت منها مرآة صغيرة وبدأت تنظر لنفسها فى المرآة بانتباه شديد .

لقد كان صباحا مشرقا وكانت الشمس تسطع على الجاكيت الأحمر الزاهى الذى ترتديه . . . وتسطع فى دفة على وجهها الوضاء وشعرها الأسود . وفتحت شفيتها وابتسمت ، كانت الصورة رقيقة . فالضعف الغريب للمرأة قد خرج الى ضوء الشمس الذى غلفه بنقاء الأصالة . لم تكن هناك حاجة على الإطلاق لأن تنظر لنفسها فى المرآة . فهى لم تقم بتعديل وتسوية وضع قبعتها على رأسها ، كما لم تقم بتسوية شعرها . كل ما فعلته أنها اكتفت بالنظر الى نفسها كجزء جميل من انتاج الطبيعة الساحرة .

وبعدئذ سمعت خطوات سائق العربة فبادرت الى وضع المرآة فى المكان الذى أخذتها منه .

شكرها على الاطلاق . ربما لأنها لم تشعر بالرغبة في ابداء الشكر والامتنان نظرا لأنه بدفعه لهذه النقود قد جعلها تفقد حبتها في الاقناع ، ونحن نعرف كيف تنظر النساء لمعروف من ذلك النوع .

ونظر البواب الى الفتاة وهي تمر من البوابة  
وقال :

- يا لها من فتاة جميلة !

فقال جبرييل : ولكنها لها اخطاؤها ..

- هذا صحيح . أيها الفلاح !

- وأشنع اخطائها هو الفرور . فالفرور هو

عيبها الدائم .. !

## الفصل الثاني

كان الوقت في منتصف الليل تقريبا عقب انتهاء اقصر يوم في السنة . وكانت الرياح الشمالية الثلجية تجتاح التل الذي سبق ان شاهد عنده جبرييل أوك العربية الصفراء والفتاة الجالسة عليها منذ أيام قليلة . كانت السماء صافية .. صافية بشكل غير عادي . والنجوم تسطع في تالق فوق كوخ الراعي القائم عند حافة غابة صغيرة . فمثل هذه الاكواخ التي تركز على عجلات كان يتم جرهما الى الحقول لايواء الرعاة أثناء الموسم حيث تقوم النعاج بولادة خرافها الصغيرة .

الى هذه الحظائر حتى بدأت الأجراس تدق . واستمرت  
فى الدق الى أن عاد الى كوخه حاملا بين ذراعيه حملا  
صغيرا قد ولد لتوته . ووضع الحمل فوق كومة من القش  
فى مواجهة الموقد حيث كان بعض اللبن الدافئ جاهزا  
وبعد دقائق قليلة راح فى النوم مرة أخرى فوق كومة  
من الأكياس والركائب .

ودب الدفء فى كيان الحمل الرضيع فتشجع  
وراح يصيح . فدخل الصياح فى أذنى جبريل وقلبه  
وذمنه محملا بمعانى ملحة عاجلة . وفى لحظة واحدة  
انتقل من النوم العميق الى اليقظة الكاملة . فوضع  
قبعته على رأسه وأخذ الحمل الرضيع بين ذراعيه وسار  
به تحت جنح الظلام .

وبعد أن وضع المخلوق الضئيل ملاصقا لأمه نهض  
واقفا وراح يتفحص السماء فى انتباه واهتمام لمحاولة  
معرفة الوقت ليلا من خلال مواقع النجوم .

**وقال جبريل لنفسه : الساعة الآن الواحدة بعد  
منتصف الليل !**

وكان الناس قد بدأوا منذ فترة قصيرة ينادونه  
باسم « فارمر أوك » أو الفلاح أوك ، نظرا لأنه كان قد  
اقتصد مبلعا من النقود فتمكن من استئجار مزرعة  
صغيرة للأغنام تضم تل نوركومب ، كما تمكن من  
تسديد القسط الأول من ثمن ٢٥٠ من الأغنام . وقبل  
ذلك كان قد اشتغل كمدير مسئول عن إحدى المزارع  
لفترة قصيرة . وقبل اشتغاله بهذا العمل كان مجرد  
راع للأغنام ، فهو منذ طفولته كان يساعد والده فى  
تربية الأغنام المملوكة للمزارعين الأغنياء الى أن جاء  
اليوم الذى مات فيه والده .

وبعد أن أصبح لجبريل نوك أغنامه الخاصة به ،  
والتي لم يسدد من ثمنها سوى جزء ضئيل ، كان عليه  
أن يراعها رعاية خاصة ، ويبدل المزيد من الجهد  
والعرق ، ولذلك فقد كان يمر بأوقات محفوفة بالمخاطر .  
وخرج من كوخه حاملا فانوسا وعلى مدى العشرين دقيقة  
التالية انشغل بالمرور حول الحظائر المسقوفة بالقش  
والتي كان قد صنعها من أجل نعاجه . وكان رنين  
أجراس الأغنام صامتا أثناء غيابها ولكنه ما أن وصل



وعندئذ أدرك جبرييل أن حياته بها بعض الجوانب الجميلة الساحرة . فوقف ساكنا للحظات عقب النظر الى السماء . ثم راح ينظر الى السماء مرة أخرى باعتبارها نتاجا فنيا رائعا غاية في الجمال الذي يجلب عن الوصف . انها لحظات السلام الكوني التي تتحقق عندما لا تظهر الأشكال البشرية والتعقيدات الانسانية ، والمتاعب والابتهاجات التي تصدر عن الأدميين .

وأدرك في بطنه تدريجى أن ذلك الشيء المضى عند منطقتة منخفضة من الأفق على حافة الغاية لم يكن نجمة وانما كان بمثابة ضوء صناعي قريب للغاية من المكان الذى يقف فيه . فسار فى اتجاه ذلك الضوء ، ثم شاهد كتلة سوداء خلف الأشجار ، فتذكر أن ذلك الموقع توجد به حظيرة تابعة لأحد الجيران . فتوقف عند الحظيرة ونظر من خلال ثقب الباب بيكنه من رؤية ما فى داخلها . فشاهد امرأتين وبقرتين . كانت احدى المرأتين قد تجاوزت منتصف العمر أما المرأة الأخرى فكانت شابة صغيرة ورشيقة على ما يبدو ، وكانت تضع عباءة على رأسها وكتفيتها منا أخفى ملامح وتعبيرات وجهها .

وقالت المرأة الكبيرة : السن نسبيا والتي تعرف عليها وأدرك أنها جارته : والآن سنعود للمنزول . وآمل أن تصبح ديسى على ما يرام الآن .

فقالت المرأة الشابة : أتمنى لو كنا أغنياء على نحو يسمح لنا باستئجار رجل ليؤدى هذه الأعمال نيابة عنا ونُدفع له أجرا !

- وطالما نحن لسنا أغنياء ، فينبغى علينا أن نقوم بهذه الأعمال ونؤديها بأنفسنا . وينبغى عليك أن تساعدنى اذا كنت تريدان الإقامة معى . ونحن بحاجة الى المزيد من العلف المناسب من أجل ديسى لكى تقوى وتمتد !

- نعم يا عتي . بمجرد أن تشرق الشمس سأذهب الى الطاحونة للحصول على بعض العلف . وسأقوم بالبحث عن قبعتى التي فقدتها ، وأعتقد أن الرياح قد ألقت بها فوق السياج والشجيرات .

وما أن سمع جبرييل هذه الملاحظات حتى ازداد

### الفصل الثالث

وعندما تجلت تباشير الصباح رجع الى الغاية .  
وسرعان ما ظهر حصان يحمل فتاة على ظهره . وكان  
الحصان يتقدم فوق المر تجاه حظيرة الأبقار . وهنا  
فكر جبرييل فجأة في القبعة المفقودة وراح يبحث عنها  
بسرعة الى ان وجدها ملقاة في حفرة بين الأوراق  
المتساقطة . فالتقطها وعاد الى كوخه ، حيث كان  
باستطاعته ان يرقب تقدم الفتاة المتطية سهوة الجواد .

ووصلت الفتاة الى مكان قريب من كوخه وراحت  
تنظر فيما حولها . وكان على وشك ان يقدم لها القبعة

شوقه لرؤية وجهها . واحس لبعض الوقت انه يرغب  
في ملء مكان شاغر في قلبه وراح يصور له خياله ان  
تلك الفتاة تتمتع بقسط من الجمال . ومن قبيل  
المصادفات العجيبة ان عباؤها انحسرت عن رأسها ،  
فتدلّت خصلات من الشعر الأسود الطويل على جاكيت  
أحمر اللون . وهنا أدرك على الفور انها بطلة العربية  
الصفراء . تلك الفتاة التي أخرجت مرآتها والتي  
أصبحت مدينة له ببينسين .

الفتاة ودخلت الى الحظيرة . وسرعان ما ترمى الى سبعة  
من داخل الحظيرة الأصوات المنتظمة التي تنبعث من  
شخص ما يقوم بحلب بقرة . فأمسك بالقبعة المفقودة  
بيده وراح ينتظر بجوار المر .

وأخيرا خرجت الفتاة . وكانت الخطوط الخارجية  
لقوامها توحى بأن لها رقبة جميلة وكتفين جميلين . ولكن  
لم يحدث أن شاهد شخص ما رقبتها أو كتفها .

وهي لو كانت قد أرغمت على ارتداء ثياب قصيرة  
لكانت قد جرت وأخفت رأسها في إحدى الشجيرات .  
ومع ذلك فهي لم تكن فتاة خجولة . كل ما هناك أنه  
كان من الطبيعي بالنسبة لها أن تكون أكثر نواضعا  
في ملابسها من الفتيات اللاتي يعشن في المدن . وكان  
من الطبيعي أيضا أنها كانت تفكر في وجهها وقوامها  
بمجرد أن وقع بصرها على عيني جبريل . ولكن الرجل  
هو الذي احمر وجهه بسبب الحجل والازتيك وليست  
الفتاة .

قال جبريل : لقد عثرت على قبعة !

المفقودة لولا أن حدث مشهد غير متوقع جعله يتراجع  
ويفضل الانتظار قليلا . إذ كان المر في ذلك المكان  
تملوه بعض الأشجار ذات الأغصان المنخفضة للغاية مما  
يعذر معها أن يخترقها الانسان بحصانه وهو جالس  
منتصب القامة . وهنا نظرت الفتاة فيما حولها كأنها  
تتأكد من أن أحدا لا يرقبها . وبعدئذ القت بظهرها  
الى الوراء على نحو رائع وبارع بحيث أصبحت ممددة  
تماما فوق ظهر الحصان . . . وقد استقر رأسها فوق  
ذيل الحصان واستقرت قدمها فوق كتفيه واتجهت  
عينها نحو عنان السماء .

وبدا على حصانها أنه معتاد على مثل هذا الوضع  
حيث مر تحت الأغصان بدون أن تعثره دلائل الدهشة .  
وبعدئذ اعتدلت الفتاة في جلستها وواصلت المسير  
بحصانها في اتجاه الطاحونة .

وشعر جبريل أوك بالبهجة والتسلية المزوجة  
بقدر ضئيل من الدهشة . وانشغل على مدى الساعة  
الزمنية التالية برعاية شتون نعاجه . وبعدئذ غادت

**فقلت :** انها قبعتى • فقد طارت من فوق رأسى  
الليلة الماضية •

**قال جبرييل :** فى الساعة الواحدة من صباح هذا  
اليوم !؟

**فقلت فى دهشة :** نعم فى نفسى هذا الوقت •  
كيف عرفت ذلك ؟

- لقد كنت موجودا هنا •

- أنت فارمر أوك اذن ؟ •• أليس كذلك ؟  
لقد أردت الحصول على قبعتى فى هذا الصباح • ولقد  
اضطرت للذهاب بحصانى الى الطاحونة !

- نعم • فقد شاهدتك تذهيبين الى الطاحونة •

**فتساءلت وقد ظهر قلق مفاجئ، على وجهها :**  
أين ؟

**فقال جبرييل :** هنا •• شاهدتك وأنت تخرقين  
الغابة وتهبطين التل •

ثم راح يحملق فى ذلك الاتجاه قبل أن يستدير  
للملافة عينيهما • ولكن ذكرى تصرفها الغريب فوق ظهر  
الحصان قد أسبغت على وجهها اللون الوردى الغامق •  
وما أن نظرت إليه حتى أدار عينيه بعيدا فجأة ، كما  
لو كان قد ضيقت متلبسا بالسرقة • وعندما نظر إليها  
مرة أخرى أدرك أنها ذهبت •

ومرت خمس صباحات وأمسيات • كانت الفتاة  
تحضر بانتظام لتحلب البقرة المتمتع بصحة جديدة •  
ولكنها لم تنظر فى اتجاه جبرييل على الإطلاق • فعدم  
مراعاته لمشاعرها قد أساء إليها بشدة • فهى قد شعرت  
بالاستياء ليس بسبب أنه قد شاهد أمورا بطريق  
المصادفة أو رغما عنه ، ولكن بسبب أنه قد جعلها تدرك  
أنه قد شاهد تلك الأمور • وكان من المتوقع ألا يتعرف  
على شخصيتها بشكل أفضل على الإطلاق لولا حدوث  
أمر ما فى نهاية نفس الأسبوع •

فبعد ظهر أحد الأيام ازدادت برودة الجو وبدأ  
الثلج يتساقط • ونظرا لاقتراب الوقت الذى يتم فيه

حرارة الكوخ قليلا . الا ان رأسه بدأت تتعرض للصداع  
وراح في نوم عميق قبل ان يقوم بفتح ثقب التهوية  
الأخر .

ولم يدرك كم من الوقت قضاه فاقد الوعي .  
اتناء المراحل الأولى من عودة الوعي اليه ، بدأ له أن  
هناك أمورا غريبه تدور من حوله . اذ كانت كلابه  
تعوى ورأسه تموج في صداع رهيب وكان هناك شخصا  
ما يشده ويجذب جسده . وعندما فتح عينيه وجد  
الفتاة ذات الشفتين الجميلين والأسنان البيضاء الى  
جواره . بل والأكثر من ذلك - وهو أمر زاد من  
دهشته - انه وجد رأسه وقد وضعت على ركبتيها بينما  
وجهه ورقبته قد بللتها بالماء على نحو غير مريح في حين  
كانت أصابعها تفك ياقة قميصه .

فتساءل في دهشة : ماذا في الأمر ؟

فاجابته الفتاة ضاحكة : لم يحدث شيء حتى الآن  
طلما أنك ما زلت على قيد الحياة . لقد كنت على وشك  
التعرض للموت بسبب النقص في الهواء في هذا

حلب الأبقار ، فقد قام بالمراقبة الاعتيادية على حظيرة  
الأبقار . وأخيرا شعر بالبرودة الشديدة تسرى في  
كياهه فراح يكوم المزيد من القش حول النعاج وحملاتها  
المولودة الصغيرة . ثم دخل الكوخ ووضع مزبدا من  
الوقود فوق الموقد .

وتسربت الرياح الشديدة الى داخل الكوخ من  
أسفل الباب . ولكي يمنع هذا التسرب وضع زكبية  
هنالك ثم أدار الكوخ قليلا ليتفادى التعرض للهواء .  
وعندئذ هبت الرياح في داخل الكوخ من خلال أحد  
ثقبي التهوية الموجودين في جانبي الكوخ .

ولقد كان يدرك دائما أنه عندما يكون الموقد  
مشتعلا والباب مغلقا ، فانه ينبغي فتح أحد ثقبي  
التهوية . فأغلق ثقباً واستدار ليفتح الثقب الآخر  
الموجود على الجانب الآخر غير المواجه للرياح . ولكنه  
غير رايه وقرر ان يجلس لبعض الوقت تاركاً كلا  
الثقبين مغلقين لمدة دقيقة أو دقيقتين الى أن ترتفع درجة

الكوخ .. ما كان ينبغي عليك أن تترك تقيس التهوية  
مفلتين

- أفضل ألا أذكر لك اسمي ، فليس هناك داع  
لذلك حيث من المحتمل ألا يكون لك علاقة باسمي على  
الاطلاق !

- ومع ذلك فانا أود أن أعرف اسمك !  
- يمكنك أن تسأل عمتي ، وهي سنقول لك  
اسمي .

- أنا اسمي جبريل أوك .  
- واسمي ليس كذلك .. وأنا أعتقد دائما أن  
اسمي يبدو غريبا وغير مريح !

**فقال جبريل :** باستطاعتك تغيير اسمك والحصول  
على اسم جديد !

وعندما صاحت في دهشة أضاف قائلا لها :  
- حسنا يا آنسة ، أرجو العذرة ، لقد اعتقدت  
انك سترحبن بالفكرة ، انني لم أكن في يوم ما أتميز  
بالبهاقة الشديدة ، ولكنني أشكرك من كل قلبي .  
هيا ، اعطني يدك !

وساعدته على النهوض بجسده قليلا والجلوس  
معتدل القامة ، وراح يمسح وجهه ويهز نفسه ، ثم قال  
لها أخيرا : كيف لي أن أشكرك ؟ وكيف عثرت على .. ؟

- لقد سمعت كلابك تعوى وتخربش في بابك  
أثناء قيامي بحلب البقرة ، ومن حسن الحظ أنني كنت  
موجودة هنا ، فموسم حلب البقر قد انتهى تقريبا ،  
وأصبح من المقرر ألا أحضر الى هنا الا بعد الأسبوع  
التالي ، وبعدئذ جاءني كلبك العجوز وأمسك بقميصي ،  
فانطلقت أجرى على الفور وفتحت الباب ورأيتك ،  
وكنت مثل رجل ميت ، فألقيت باللبن عليك لكي  
أوقظك نظرا لأنني لم أعر على أي ماء بالكوخ .

- لقد أنقذت حياتي يا آنسة .. انني لا أعرف  
اسمك ، وأنا أعرف اسم عمك ولكنني لا أعرف  
اسمك .

وعندئذ شعر جبرييل أنه قد وقع في خطأ آخر  
لأنه أساء الى مشاعرها . وأضافت في سخريه : والآن  
حاول ان تعرف اسمي ..

ثم غادرت الكوخ على الفور ..

وترددت وهي تمد يدها وتمطيها له . فأمسك  
يدها للحظات خاطفة ثم قال على الفور : أنا أسف !

- على أى شيء تأسف

- لأننى أمسكت يدك للحظات قليلة فقط ثم  
تركتها بسرعة !

- يمكنك أن تمسك بيدي مرة أخرى . ها هي  
يدي .

فأمسك يدها لفترة أطول في هذه المرة . وقال  
أن يدها لينه للغاية . فقالت له دون أن تجلب يدها :  
لقد أمسكت يدي لفترة طويلة بما فيه الكفاية . واعتقد  
أنك تفكر حالياً في تقبيل يدي . ويمكنك أن تقوم  
بالتقبيل اذا كنت تريد ذلك !

فقال جبرييل بكل بساطة : لم أكن الفكر في شيء  
من هذا القبيل . ولكنى سأفعل ذلك .

فسحبت يدها بسرعة : لا . لن تقبل يدي

تعد بانثسبيا نجى، الى التل بعد ذلك • وكان قد وصل حينئذ الى حالة من الاثارة والبهجة الشديدة لم تكن تخطر على باله من قبل • اذ بدأ يردد كلمة « بانثسبيا » فى متعة شديدة بدلا من التصغير بضمه للتعبير عن البهجة • وفى نهاية الامر قال لنفسه :

– سأخذ منها زوجة لى والا سأعرض للانهايار التام خلال فترة زمنية قصيرة !

وطوال هذه الفترة راح يفكر فى قلق شديد فى كيفية البحث عن سبب معقول يدعو له لزيارة كوخ مسز هارست وهى عمه بانثسبيا • ولاحق له الفرصة عندما ماتت نعمة هى أم لحمل رضيع على قيد الحياة •

وفى صباح يوم مشرق ومشمس من شهر يناير وضع الحمل الرضيع فى سلة نظيفة • واجتاز الحقل متجها الى منزل مسز هارست ، بينما كلبه العجوز جورج يسير فى وقار خلفه • وكان قد ارتدى أفرخ ثيابه فى عناية شديدة • ووضع كل ما عنده من زيوت الشعر على شعره الجاف المجعد ، مما جعل شعره الرملى

## الفصل الرابع

وسرعان ما تسببت هذه الفتاة الجميلة الجذابة فى اطلاق الشاب فارمر أوك بعد ان كان مرتاح البال • اذ بدأ يرقب من خلال النسياج وصولها حيث كانت تجىء بصفة منتظمة • وكان يترقب مثل كلب وضيع ينتظر تقديم الوجبات الغذائية له • وقام بعدة استفسارات وتحريات فاكتشف ان اسمها بانثسبيا افردين •

كما اكتشف أن البقرة ستوقف عن ادرار اللبن فى خلال سبعة أيام تقريبا • فبدأ يشعر بالخوف والقلق من اليوم الثامن • وأخيرا جاء ذلك اليوم الثامن ولم



وهو يشعر بشيء من الارتباك • وفتحت عمة باتشيبيا  
الباب •

**فقال جبريل :** لو سمحت أخبري الآنسة ايفردين  
ان شخصا ما يسعده أن يقابلها ؟

**ثم اضاف قائلا :** لقد أحضرت لها حملا رضيعا •  
فقد اعتقدت أنها ربما تعتنى بهذا الحمل • لأن الفتيات  
يقمن غالبا بمثل هذه الرعاية •• !

**فقالت مسر هرسيت :** يمكنها أن تفعل ذلك ولو  
أنها مجرد ضيفة أو زائرة عندي هنا •• تفضل  
بالدخول • باتشيبيا ستصل الى هنا حالا !

**فقال جبريل وهو يتبعها الى داخل المنزل ويجلس  
بجوار المدفأة :** حقيقة الأمر أن الحمل الرضيع ليس هم  
السبب في مجيئي الى هنا • فأنا قد جئت لكي أسألك  
عما إذا كانت ترغب في الزواج يا مسر هرسيت •

– أجنث من أجل ذلك الأمر حقاً •• ؟

– نعم • لأنها إذا كانت لديها الرغبة في الزواج

اللون يتحول الى اللون البني الناصع ويلتصق برأسه  
مثل الأعشاب البحرية المبللة المتفة حول صخرة ملساء  
عقب انحسار الماء عنها •

وعندما قطع مسافة في حدود ٢٠٠ ياردة سمع  
وراحت القطة تقوس ظهرها في غضب واستياء لدى  
مشاهدتها الكلب المعجوز جورج • ولم يعرها الكلب  
أدنى اهتمام حيث كان عجوزا للغاية وعلى نحو لا يسمح  
له بالجرى لاحثا وراء القطة • ولكن صوتا ترامى من  
خلف شجيرة كانت القطة قد وصلت اليها :

– يا عزيزتى المسكينة ! هل أراد كلب شرير  
قاسى أن يقتلك يا عزيزتى المسكينة الصغيرة ؟

**فرد جبريل على الصوت قائلا :** معذرة • ولكن  
جورج كان يسير ورائى فى هدوء وسلام !

الا أن احدا لم يظهر من بين الشجيرات • ثم سمع  
صاحب الصوت يرحل مبتعدا بين الشجيرات • وكان  
هذا المشهد بمثابة استهلال سيمى • فأتجه نحو الباب

وتوقفت عن الكلام للحظات لكي تلتقط أنفاسها  
اللاهئة لدى الوصول اليه .

**فقال جبريل :** لقد جئت توأ من أجل أن أقابلك . .  
- نعم . أعرف ذلك . ولكنني لم أكن أعرف أنك  
ستحضر لكي تطلب الزواج مني ، والا لكنت قد حضرت  
اليك من الحديقة على الفور . ولقد جريت وراءك لكي  
الحق بك وأقول لك أن عمتي قد أخطأت في القول عندما  
قالت لك ان لدى شاب بالفعل على علاقة بي . فأنا ليس  
لي حبيب على الاطلاق ولم يكن لدى أي حبيب في أي  
وقت على الاطلاق !

**فقال جبريل :** انتي لسعيد حقا أن أسمع منك  
ذلك !

وابتسم ابتسامته الطويلة المبهجة واحمر وجهه  
خجلا مع الانفعال بشعوره البهجة والسعادة . واستطرد  
قائلا : لدى مزرعة صغيرة جميلة وعندما تنزوج سأتمكن  
من مضاعفة جيودي في العمل !  
واتخذ خطوة للأمام ومد ذراعه الا أن باتشيبا

فانني سأكون سعيدا للغاية اذا تزوجتها . وهل ظهر  
لها أي شاب آخر يريد أن ينزرجها ؟

**فقالت مسز هرست :** دعني أفكر وأتذكر . .  
ثم استطردت : نعم . بالطبع . ظهر لها كثير من  
الشبان فهي جميلة وجذابة للغاية وحصلت على قدر وافر  
من التعليم يا فارمر أوك . ولكن هؤلاء الشباب لم  
يحضروا الى هنا على الاطلاق . . ولكنها كانت ستحصل  
بالتأكيد على دستة من الشبان !

**فقال جبريل وهو ينظر في أسف نحو الأرض :**  
ذلك أمر يؤسف له . فأنا مجرد رجل عادي وفرصتي  
الوحيدة تكمن في أنني أول شخص يطلب يدها . حسنا  
لا داعي اذن أن انتظرها الآن يا مسز هرست . .

وعندما وصل الى بوابة الحديقة شاهد قطة بالداخل  
صبيحة . فنظر فيما حوله فشاهد فتاة تجرى للحاق  
به وقد راحت تلوح له بمنديل . لقد كانت تلك الفتاة  
هي باتشيبا .  
**وقالت :** يا فارمر أوك . . .

ستتزوجينني ؟ .. ارجوك أن توافقى يا باتشيبا فانا  
أحبك من كل قلبى !

**فقالت باتشيبا وهي تنظر الى الأفق البعيد وقد  
راحت فى تفكير عميق : اعطنى بعض الوقت الكافى لكى  
أفكر فيه ..**

**فقال وهو ينظر الى مؤخرة رأسه عبر الشجرة:**

– باستطاعنى أن أدخل السعادة الى قلبك .  
فلسوف يكون لديك بيانو .. فزوجات الفلاحين أصبح  
لديهن بيانو فى هذه الأيام . كما ستكون لديك عربة  
صغيرة جميلة يجرها حصان لكى تذهبى بها الى  
الأسواق . هذا بالإضافة الى الورود والأزهار الجميلة  
والأطفال الذين يدخلون عليك البهجة والسرور !

واستمر فى كلامه الذى يمزج الشعر بالاتجاهات  
العلمية .

– نعم . ينبغى على أن أحب ذلك الأمر !

– ولنسوف نعلن عن موعد زواجنا وعن مولد

بجنبته يده وانزلت خلف شجرة شائكة **وقالت من فوق**  
**كفها وهي تنظر اليه بعينين منههشتين : ماذا فى الأمر**  
**يا فارمر أوك . اننى لم أقل مطلقا اننى سأتزوجك .**

**فقال جبريل فى ارتباك : حسنا . تلك اذن خدعه**  
**فانت تجرين وراه أى شخص على هذا النحو وبعدها**  
**تقولين أنك لا تربدينه !**

**فقالت فى لهفة وشغف : لقد كنت أهداف الى أن**  
**أقول لك ذلك .. فانا ليس لدى دسمة من الشبان**  
**يتعجبوننى كما قالت عمى لك . فانا أكره أن يعتقد**  
**الناس اننى بمثابة شىء يحتلته الرجال بتلك الطريقة .**  
**ولكنى اذا كنت أريدك حقا لما جريت وراك على هذا**  
**النحو . لأننى لو جريت وراك أكون بذلك قليلة الحياء**  
**وبعيدة عن الأدب والحشمة .**

**فقال جبريل وهو يبذل محاولة أخرى : تعالى الى**  
**يا أنسة ايفردين . سأنتظر قليلا لمدة دقيقة أو دقيقتين**  
**حتى أتبع لك فرصة للتفكير فى ذلك الأمر .. هل**

فقال جبريل : ولكنى أحبك . ولسوف أظل على  
حبي لك ورغبتى فيك طوال حياتى !

وارتعش صوته بعد أن سرى فى كيانه حزن  
حقيقى بل وراحت يدها الكبيرتان ترتعشان بشكل  
ملحوظ -

فردت عليه : لا فائدة من وراء كلامك يا مستر  
أوك - اننى أريد شخصا ما يروضنى ويجعلنى أليفة ..  
فأنا من النوع الذى يعتمد على نفسه تماما . وأنت لن  
تتمكن من ترويضى على الاطلاق وهذه حقيقة أدركها  
جيذا !

وتوقفت عن الكلام ثم استعطرت : وأنا لا أملك  
أى شئ تقريبا ولا أية نقود فى هذا العالم . ولكنى  
منعلمة أكثر منك .. ولا أشعر نحوك بالحب على  
الاطلاق .. وهذا هو موقفى من هذا الموضوع . والآن  
فكر فى هذا الأمر من جهتك أنت . فأنت قد بدأت  
لتوك فى امتلاك مزرعة صغيرة وينبغى عليك أن تزوج

أطفالنا الصغار فى الجرائد ! وكلما رفعت عينيك لأعلى  
وأنت بمنزلك بجوار المدفأة ستجدينى دائما هنالك  
بجوارك .. !

- انتظر .. انتظر قليلا !

وراحت فى صمت للحظات قصيرة وبعدئذ  
استدارت نحوه على نحو حاسم وقاطع وقالت : لا . لا  
جدوى من وراء هذا الكلام . فأنا لا أرغب فى الزواج  
منك . فالزواج سيكون بمثابة تحقيق انتصار عظيم  
بالنسبة لى من وجهة نظرى الخاصة . ولكن الزوج لا !  
فكما تقول أنت سيكون دائما هنالك . وكلما نظرت  
أنا لأعلى سيكون هو هنالك .

وصدرت عن جبريل تنهيدة عميقة صادقة  
وتوسل اليها وهو يحرك أغصان الشجيرة لكى يتمكن  
من الوصول اليها قائلا : لماذا لا توافقين على الزواج  
منى ؟

- لأننى لا أحبك !

امراة تمتلك نفودا . امراة تستطيع أن تشتري لك اغناما وماشية من اجل مزرعة اكبر !

فنظر اليها جبرييل في دهشة واعجاب وقال في صدق وامانة وسداجة : ان ذلك هو بالضبط ما كنت افكر فيه !

فقالت في غضب : اذن لماذا جئت الى ولماذا ازعجتني كل هذا الازعاج ؟ . . واستطردت : وهل تعتقد بعد هذا الكلام الذي قلته أنني سأوافق على الزواج منك ؟ لا . لا تنكلم معي بأى كلام آخر . . فانا لا احبك وانه لمن الغباء أن أتزوجك بينما أنا لا احبك !

ثم صدرت عنها ضحكة مليئة بالسخرية والاحتقار .

وبالطبع لا يوجد أى رجل يوافق على أن يرى أحدا يسخر من حبه . لذلك قال جبرييل في حزم : حسنا . لن أطلب منك أن تتزوجيني مرة أخرى !

## الفصل الخامس

ووصلت انباء لجبرييل تفيد أن باتشيبا قد تركت هذه المنطقة . كانت قد ذهبت الى وذريري . . وهي قرية تقع على مسافة عشرين ميلا ، الا انه لم يستطع أن يعرف ما اذا كانت قد ذهبت الى تلك القرية للعيش فيها بصفة دائمة ، أم لمجرد زيارتها لفترة محدودة . وبعدئذ حدث شيء ما أدى الى ابتعادها أكثر وأكثر حتى أصبحت بعيدة تماما عن متناول يده .

وذات ليلة وبعد أن عاد الى منزله معتقدا أن الأمر لم يعد يستلزم منه أن ينام فى الكوخ ، قام باستعداد

الخطيرة بالأماكن التي تركها فيها أما النعاج المئتان  
الأخريات والتي لم يحن بعد وقت الولادة بالنسبة لها ،  
فقد اختفت كلها تماما . فراح ينادى عليها بأعلى صوته  
بذلك النداء الذي يستخدمه رعاة الأغنام :

- أوفىي . أوفاي . أوفاي !!

فلم ترد على نداءه نعجة واحدة . فذهب الى  
السياج . فلاحظ على الفور وجود كسر في السياج .  
وفي تلك الفجوة بين السياج شاهد آثار أقدام الأغنام .  
فتنبح آثار الأقدام حتى مشارف الغابة ولكن الأغنام  
لم تكن موجودة هناك . فراح ينادى مرة أخرى وارتد  
اليه صدى صوته عبر الوادي . ولكن لم تظهر أية  
أغنام . فتوغل بين الأشجار وصعد الى التل الواقع  
خلفها . وهناك فوق قمة التل شاهد المخطوط الخارجية  
المظلمة لكلبه الصغير في مواجهة السماء . فقد كان  
واقفا عند زاوية المقل حيث يوجد هنالك سور يحمي  
حافة صخرة منحدره .

كليه كالمعتاد قبل الذهاب للنوم في فراشه . الا أنه  
لم يظهر سوى كلب واحد وهو جورج المعجوز ولم يتمكن  
من العثور على الكلب الآخر .

وكان جورج كلبا ماهرا ومن النوع الذي يمكن  
الاعتماد عليه . أما الكلب الصغير ابن جورج فلم يكن  
لديه أي ادراك سليم على الإطلاق . فعندما يرسل خلف  
القطيع لحثها على الإسراع فإنه كان يفعل ذلك بإخلاص  
واتقان شديد حتى أنه كان يطاردها عبر وسيكس  
بأسرها في بهجة هائلة ولا يكف عن ذلك طالما لم يتم  
استدعاؤه . ولذلك كف جبرييل عن استدعاء الكلب  
الأخر وذهب لينام في فراشه .

وكان الليل ساكنا تماما . وقبل ظهور تباشير  
الصباح بقليل استيقظ جبرييل على أصوات أجراس  
الأغنام التي كانت تدق في عنف وسرعة غير معهودة .  
فقفز من فراشه على الفور وارتدى ملابسه وانطلق  
مهرولا في الحارة المليئة بالضباب وتسلق التل .

كانت الحمسون نعجة مع حملاتها الصغيرة في

وبذلك ضاعت كل آماله في أن يصبح فلاحاً مستقلاً ،  
ضاعت تلك الآمال للأبد .

لقد بذل جهوداً مضمّنية للغاية لكي يتمكن من  
الوصول إلى تلك المرحلة من التقدم التي حققها ، حتى  
أنه شعر أنه لم يعد لديه الطاقة التي تعينه على بدء  
حياته من جديد مرة أخرى . فأحس رأسه وغطى وجهه  
بيديه .

ولكن كان من الطبيعي بالنسبة لشخصية جبرييل  
أن تكون العبارة الوحيدة التي نطق بها عقب هذه  
الصدمة هي عبارة شكر وحمد لله :

- أشكرك يارب على أنني لم أتزوج ! فماذا كانت  
سنتفعل زوجتي بين أحضان الفقر الذي ساعاني منه  
بالتأكيد ابتداءً من الآن ؟

ورفع رأسه أخيراً ونظر إلى كلبه الصغير المسكين .  
لا بد وأنه قد اعتقد أنه طالما قد كلف بمهمة قيادة  
الأغنام فإنه كلما ساقها أكثر كلما كان ذلك أفضل .

وهبطت على ذهن جبرييل الحقيقة المروعة . وبدأ  
يشعر بالإغماء والخوف وهو يتقدم إلى إحدى النقاط التي  
تحطم عندها السور . وهنالك رأى مرة أخرى آثار  
أقدام نعاجه . ولمس الكلب بأنفه المبلل يد جبرييل  
كما لو كان يتوقع نوعاً من المكافأة نظراً لخدماته .

ونظر جبرييل عبر الصخرة . وهنالك شاهد  
النعاج مستلقية وميتة عند سفح الصخرة . . . أكوام  
من جثث النعاج الميتة التي تضم في أحشائها ٢٠٠ حمل  
على الأقل لم تتم ولادتها .

لقد كان جبرييل إنساناً يتصف بالقلب الرحيم  
والشفقة الشديدة . ولذلك كان أول شعور ينتابه هو  
الشعور بالشفقة والحزن على مصير هذه المخلوقات  
اللطيفة الرقيقة .

إلا أنه تذكر بعد لحظات أن تلك المخلوقات غير  
مؤمن عليها . ولذلك فإن كافة المدخرات التي حققها  
في حرص وعناية قد ضاعت للأبد في لحظات قليلة .

ولذلك فقد راح يطاردهما عبر التل بسرعة كبيرة حتى انها تسببت في كسر جزء من السور وانطلقت فوق الحافة . لقد نفذ الكلب المهمة المكلف بها بأخلاص شديد للغاية يستحق عليه رمية بالرصاص !

وكان أحد التجار قد زود جبريل بهذه الأغنام لأنه كان يثق في جبريل ونشاطه وطموحه . وكان يحصل على ثمن الأغنام بالتقسيط المريح . واكتشف جبريل أنه اذا باع كل ما لديه من ممتلكات فإنه سيتمكن من تسديد كافة ديونه تقريبا . فقام بتسديد ديونه وأصبح لا يمتلك سوى الملابس التي يرتديها . أصبح رجلا حرا لا يمتلك أى شيء سوى ملابسه . . . !

## الفصل السادس

كان أى رجل يرغب فى الحصول على مهنة جديدة يذهب الى السوق فى كستربودج وهى المدينة الرئيسية فى مقاطعة دورسيت فى يوم معين من شهر فبراير من كل عام . ففى ذلك اليوم كان يتجمع مئتان أو ثلاثمائة من العمال المتشبهين بالأمال فى تلك السوق ويرتدون علامة تدل على نوع الحرفة التى يمارسونها ، وذلك حتى يسكن لأصحاب العمل معرفة نوع المهنة التى يرغب فيها العامل من أول نظرة الى تلك العلامة .

ووقف جبريل بين هذا الحشد الفقير من العمال



باحثا عن وظيفة مدير مزرعة \* كان أكثر شحوبا في تلك الآونة وكانت تعبيرات الحزن على وجهه أعمق وأشد عن ذي قبل \* الا أن متاعبه ومشغوليياته كانت قد ذهبت الى غير رجعة ، وأصبح لديه شعور بالهدوء والسكينة على نحو لم يمارسه أبدا من قبل \*

وما أن انقضت فترة ما بعد الظهر حتى بدأ يشعر بالإرهاق والتعب والملل من الوقوف في السوق \* وأخيرا قرر أن يعرض نفسه للعمل كراعى للأغنام ، بعد أن اتضح له أن جميع الفلاحين يرغبون في الحصول على رجال يقومون بهمة رعى الأغنام \* فذهب الى دكان للملابس واستبدل ملابسه المتنازة بثياب أخرى فضفاضة ومعها عصا الرعى وهما بمثابة العلامة التي تدل على مهنة رعى الأغنام \*

ولاحظه العديد من الفلاحين الا أن الحادثة كانت تتم دائما على هذا النحو :

- من أى بلد جئت ؟

- من نوركومب \*

- وما هي المزرعة التي عملت بها في آخر مرة ومن صاحب تلك المزرعة ؟

- عملت في مزرعة خاصة بي !

وكانت هذه الاجابة الأخيرة تجعلهم يتراجعون بعيدا عنه كما لو كان مصابا بمرض معدى \*

وحل المساء دون أن يتمكن جبرييل من العثور على مستخدم يقبل تشغيله عنده \* الا أنه علم أن تجسعا مماثلا سيتم عقده في اليوم التالي في شوتسفورد الواقعة على مسافة عشرة أميال على الجانب الآخر من وذربري \*

وذربري ! ان وذربري هي المكان الذي ذهبت اليه باتشيبيا \* وكانت هذه الحقيقة بمثابة الجرح من الليل الدامس الى ضوء النهار الساطع \* ربما تكون باتشيبيا قد غادرت ذلك المكان منذ فترة طويلة ، الا أنه قرر أن يقضى ليلته هناك وهو في طريقه الى شوتسفورد \*

وسار على قدميه مسافة تتراوح ما بين ثلاثة أميال

وهي ليست متزوجة • يا لها من دنيا غريبة ! •  
وهم يقولون عنها أنها تستطيع العزف على البيانو  
بنفس المرح الذي يعزف به أى رجل • ولكن كيف تتمكن  
من دفع نفقات العزف على البيانو ؟ يا مستر بيل  
سمالبرى ؟

— هذا هو ما لا أعرفه حتى الآن يا مستر جوزيف  
بورجراس •

وهنا مرت فكرة جامعة كالومبيز فى ذهن جبرييل  
ربما كانا يتحدثان عن باتشيبيا فيما عدا السؤال عن  
كيفية دفعها لنفقات العزف على البيانو • وعلى أية حال  
فقد أصبحوا قريبين من وذربرى ثم انزلق فى هدوء  
خارجا من العربة لكى لا يزعج المتحدثين • وكان على  
وشك مواصلة المسير عندما لاحظ وجود ضوء غير عادى  
على مسافة نصف ميل فوق الحقول • وبينما كان يرقب  
ذلك ازداد الضوء قوة •

كان هناك شئ ما يشتعل بالنيران • فتسلق  
فوق بوابة وسارخ بالجرى عبر الحقول فى اتجاه السنة

وأربعة أميال وبعدئذ حل الظلام • وعند سفلح تسل  
بالبرى عشر على عربة عند جانب الطريق بدون أية  
خيول ويبدو أنها قد تركت هنالك لتبقى طوال فترة  
الليل • وكان جبرييل قد سار على أقدامه منذ ظهور  
تباشير الصباح فشعر بالرغبة الشديدة فى النوم بين  
القش الموجود فوق العربة لأنه لو واصل المسير الى  
وذربرى سيضطر لدفع نفقات المبيت هناك • وتناول  
آخر ما لديه من قطع الخبز واللحم وأعد لنفسه مكانا  
يبست فيه بين القش ثم راح فى نوم عميق على الفور •

واستيقظ فجأة فأدرك أن العربة تتحرك وتراعى  
الى سمعه أصوات قادمة من مكان ما فى مقدمة العربة •

— انها جميلة وجذابة ولكن ذلك ليس سموى  
مظهرها الخارجى • فهؤلاء النساء الرائعات الجمال  
مغرورات مثل الشياطين •• ويقول الناس عنها انها  
مغرورة للغاية فهى فى كل ليلة تذهب فيها النوم تنظر  
فى المرأة لكى تضع على رأسها طاقة النوم بطريقة  
سليمة !

ضخم من أقمشة أشعة المراكب عبر الجانب المهدد من هذه الكومة .

ثم صاح جبريل : والآن عليكم بالوقوف هنا ومعكم جرادل الماء . . . وصبوا الماء باستمرار على قماش المراكب لكي يظل ممبلا باستمرار . واحضروا لي سلما !

لقد بدأ يدرك أن السنة اللهب أخذت تحرق سطح الكومة . وعندما تأخر احضار السلم زاح يجامد ويتسلق على جانب الكومة الى أن وصل الى سطحها . وكانت قطع من القش الملتهب متناثرة في أماكن مختلفة عندما بدأ يخذ النيران مستخدما عصا الراعي التي في يده .

وعلى الأرض أسفل جبريل كانت مجموعات من الفلاحين تبذل قصارى جهدها للسيطرة على النيران وخلف هؤلاء الناس كانت هناك امرأة جالسة فوق حصان وامرأة أخرى واقفة الى جوارها .

**وقالت المرأة الواقفة على الأرض : انه زاعى اغنام**

اللهب . كانت السنة اللهب منبعثة من كومة من القش تشتعل في عنف وتوهج وعلى نحو يصعب فيه السيطرة على النيران . ولكن عندما هبت س سحب الدخان على جانب . تمكن جبريل من رؤية صف طويل من أكوام القمح يقع في مكان قريب خلف القش المشتعل . وكان الرجال يصيحون ويهرولون هنا وهناك في فوضى وارتيابك .

وهنا جرى جبريل بسرعة للامام وتولى قيادة الناس على وجه السرعة حيث **صاح في أكثر الناس قريبا من موقع القمح قائلا** : امنعوا النيران من الوصول الى أسفل تلك الكومة من القمح !

وكانت كل كومة قمح مرفوعة عن الأرض فوق مجموعة من الدعائم الحجرية التي يتعذر على الفئران تسلقها ولكن اذا تمكنت الرياح من نقل القش المحترق الى أسفل اقرب كومة . فان جميع كومات القمح ستتعرض للتلف والاحتراق تماما .

وتنفيذا للتعليمات الصادرة منه تم القا قماش

باستطاعتك أن تشاهدي عصا الأغنام الخاصة به التي تلمع أثناء قيامه بضرب النيران بها . كما أن ثوبه الفضيفاض الخارجى بدأ يتعرض للاحتراق ! انه يا آنسة . . راعى أغنام شاب وسيم الشكل !

فتساءلت الفتاة الممتطية الحصان والتي كان وجهها مخنفيا وراء حجاب أسود اللون : ترى عند من من الفلاحين يعمل هذا الراعى ؟

- لا أعرف يا آنسة . وباقى الناس لا يعرفون أيضا . وهم يقولون أنه شخص غريب . .

ثم التفتت نحو رجل واقف بالقرب منها وتساءلت : هل تمت السيطرة على النيران الآن يا جان كوجان ؟

- نعم . اعتقد ذلك . وقد تم انقاذ القمح . . ذلك الراعى الشجاع هو الذى أنقذ القمح . . ذلك الشخص الواقف فوق قمة الكومة والذى يلوح بيديه الطويلتين مثل الطاحونة الهوائية !

فقالت المرأة الممتطية الحصان : انه يقوم بعمل مضى وشاق . واستطردت : أتمنى أن يعمل فى مهنة رعى الأغنام معنا هنا . يا ماريان اذهبي اليه لدى هبوطه من فوق الكومة وقولى له أن الفلاحة صاحبة الأرض ترغب فى توجيه الشكر والامتنان له . . فانطلقت ماريان وبلغته الرسالة .

فتساءل جبرييل وقد شعر بالارتارة والبهجة بعد أن راودته فكرة احتمال حصوله على عمل : وأين سيدك الفلاح صاحب الأرض ؟

- سيد الأرض ؟ . . انها سيده أبا الراعى . . عما هى موجودة هناك فوق ظهر الحصان وقد وضعت قناعا على وجهها لأن عمته قد انتقلت الى رحمة الله !

وكان وجه جبرييل قد تلمّخ بالهباب الأسود والدخان والأوساخ الناجمة عن النيران بحيث يصعب التعرف على ملامح وجهه وكان رداؤه الفضيفاض قد احترق فى معظم أجزائه . وكانت قطرات الماء تتساقط

من رداه بينما كان يسير في تواضع متجها نحو المرأة  
الشابة الراكبة فوق سرج الحصان . ثم قال في تواضع  
وبصوت تشوبه التأتاة والتردد : هل تريدان راعبا  
للأغنام يا سيدتي ؟

فرفعت الحجاب من وجهها ونظرت اليه في دهشة  
بالغة . لقد تقابل جبرييل مع محبوبته باتشيبيا الخالية  
من المشاعر العاطفية مرة أخرى وجها لوجه . ولكن  
باتشيبيا لم ترد على تساؤله فاضطر لأن يكرر تساؤله  
بصوت حزين يدل على أنه مدرك للموضع الأليم الذي  
تردى اليه : هل تريدان راعيا للأغنام يا سيدتي ؟

## الفصل السابع

وانزلت باتشيبيا الحجاب على وجهها مرة أخرى .  
وانتابتها مشاعر مختلفة : اكان عليها أن تشعر  
بالتسلية ازاء غرابة هذا اللقاء الذي جمع بينهما بطريق  
المصادفة ، أم كان عليها أن تشعر بالاضطراب بسبب  
حساسية اللقاء ؟

فتمتعت قائلة وهي تصفى على وجهها طابع الوقار:

- نعم . أنا في حاجة الى راع للأغنام . ولكن

وقد ساروا في مجموعات تضم كل مجموعة رجلين أو ثلاثة رجال تاركين جبرييل بمفرده مع مدير المزرعة الذي كان قد وصل لتوه . وعندما تم الاتفاق على الاستعانة بجبرييل كراع للأغنام ، تساءل جبرييل عما إذا كان مدير المزرعة سيوفر له مسكناً ينام فيه .

**فقال مدير المزرعة في برود : لا . لا أستطيع ذلك . ولكنك إذا سرت وراء الرجال في اتجاه الحانة فان واحدا منهم سيقدم لك النصيحة في هذا الشأن . ليلة سعيدة أيها الراعي !**

وانطلق جبرييل في اتجاه القرية . وبينما كان يمر بجوار فناء الكنيسة لاحظ وجود هيكل ما واقف خلف شجرة . وعندما اقترب تبين له أنها فتاة لا ترتدى سوى الملابس التي ترتديها الفتيات في داخل المنازل .

**فقال جبرييل في ابتهاج : مساء الخير !**

**فردت الفتاة : مساء الخير !**

وكان صوتها جذابا بشكل غير متوقع . .

**فقال أحد القرويين في هدوء : انه الرجل المناسب للقيام بهذه المهنة يا سيدتي !**

**ثم قال قروي آخر في تأكيد قاطع : نعم . انه مناسب تماما لهذا العمل . .** وأيد هذا القول شخص ثالث وشخص رابع .

**فقالت باتشيبيا : اذن قولوا له أن يتحدث في هذا الشأن مع مدير المزرعة الخاص بي . .** وأضافت : وينبغي عليكم جميعا أن تحصلوا على قدر من الانتعاش والشراب والطعام عقب هذا المجهود الإضافي الذي قمتم به . أيمكنكم التفضل بالمجيء الى المنزل ؟

**فقال الرجل الأول : من الأفضل أن نتناول الطعام والشراب في الحانة لأن ذلك يعطينا المزيد من الحرية ونرجو أن ترسلي لنا الطعام والشراب الى الحانة يا سيدتي !**

فانطلقت باتشيبيا بحصانها مخترقة الظلام . وبدأ الرجال يتهددون في مسيرتهم نحو القرية .

**فقال جبريل :** اعدك بذلك طالما أنك لا تريدني  
منى إن أتحدث عن مشاهدتي لك .

وعندما لاحظ أنها ترتعش من البرد **أضاف قائلاً :**  
كان ينبغي عليك أن ترتدى عباءة فى مثل هذه الليلة  
الباردة . **أنصحك** أن تعودى الى منزلك !

**فصاحت :** لا . لا . إرجوك أن تواصل المسير  
وتتركنى وشائى !

**فقال :** سأستمر فى طريقى . ثم **أضاف فى**  
**تردد :** لو كنت فى حاجة الى نقود أرجوك أن تقبلنى  
منى هذا المبلغ الضئيل . انه شلن واحد ، ولكنه كل  
ما يمكننى الاستغناء عنه من نقود . وأنا الراعى  
الجديد . ولقد وصلت الى هنا توا .

فقبلت منه الشلن فى امتنان . وتقابلت يدهما  
فى الظلام وأحس بنبض الدماء يضرب بقوة فى معصها  
**فسالها :** ماذا فى الأمر ؟

بعيداً عن الناس - ٦٣ -

كان صوتها يتميز بالنغمة العذبة المنخفضة التى  
يتميز بها صوت فتاة تمر بسجربة حب عنيف .

**وتساءل جبريل :** أيمكنك أن تخبرينى عما اذا  
كنت أسير فى الاتجاه الصحيح المؤدى الى الحانة ؟

وكان جبريل يرغب بالفعل فى أن يعرف ذلك ،  
ولكنه كان يرغب أيضاً فى سماع المزيد من صوتها  
العذب .

- أنت فى الاتجاه الصحيح . فالحانة توجد عند  
سفع التل .

واعترتها الحيرة والتردد وهى تنظر لأسفل نحو  
صرة عند قدميها . ثم **أضافت قائلة فى عصبية :** أرجوك  
ألا تقول أى شىء عنى عندما تصل الى القرية لا تقل  
إنك قد شاهدتني هنا . . . أرجوك أن تلتزم بالصمت  
مدة يوم واحد أو يومين . . . ممكن ؟!

## الفصل الثامن

وراح جبرييل يتحسس بيده باب الحانه إلي أن  
عثر علي الشريط الجلدي لسقاطه الباب ، فجذبه  
فارتفع المقيض لأعلي في الداخل ، وفتح الباب علي  
مصرعيه وجاء صوت رجل عجوز مناديا :  
- أدخل أيها الرامي . مرحبا بك . رغم أننا  
لا نعرف أسمك ؟  
-أسمي جبرييل أوك ياجرانيبي  
-ألست حفيد جبرييل أوك العجوز الذي هو من

- لا شيء . انصرف الآن من فضلك واكنم حجر  
لقائي معك !  
- حسنا . لن أتحدث مع احد عن لقائي بك  
طابت ليلتك !  
- طابت ليلتك وشكرا جزيلا !  
وظلت الفتاة واقفة دون تحراك بجوار الشجرة  
وسار جبرييل الى قرية وذربري ..



**واستطرد الرجل العجوز :** وهما قدرا من الحبز  
واللحم الذى أرسلته ربة البيت . **ثم قال :** لقد وقعت  
منى اللحوم على الطريق أثناء احضارى لها ولذلك فقد  
اختلطت بالرمال . ولكن لا تجعل أسنانك تتلاقى تماما  
لكى لا تشعر بالرمال فى فمك على الاطلاق !

وكانت الجرة فى تلك الآونة بين يدى جان كوجان  
وهو رجل أحمر الوجه ، وكان مغرما باقتسام الأشياء  
مع الآخرين . **وقال لرجل له شعر كثيف فوق حاجبيه :**

- اشرب يا هنرى فراى !

ولم يرفض هنرى العرض . **ثم قال :**

- هيا يا مارك كلارك ما زال يوجد المزيد فى  
البرميل .

**فرد مارك فى شيء من الفكاهة :** وهو كذلك .  
فهى طبيعى الوحيد !

ثم صاح جان فى وجه رجل خجول ومرتبك بسبب

نوركومب ؟ لقد تعرفت عليك عندما رأيت وجهك  
وانت واقف فوق كومة القمح . لقد كنت صديقا حسيما  
لمدك والآن يجب عليك أن تتناول معنا الشراب !

**ثم قال موجها كلامه لابنه جاكوب :** ارفع الجرة  
لترى ما اذا كانت دافئة !

فانحنى جاكوب سمولبرى على الجرة ذات المقبضين  
الطويلين والواقفة بين رماد النيران . وغمس أصبعه فى  
عصير التفاح لمحاولة معرفة مدى درجة حرارته . ثم  
رفع الجرة وحاول فى أدب ازالة بعض الرماد العالق بها  
مستخدما ذيل ردايه ، نظرا لأن الراعى أوك كان شخصا  
غريبا وضييفا بالنسبة لهم .

**واصغر الرجل العجوز أوامره :** احضر فنجانا  
تظيفا من أجل الراعى !

**فقال جبريل :** لا . لا داعى لذلك . فالقذارة  
لا تقلقنى اذا كنت أعرف نوعها . .

ثم أمسك بالجرة وشرب منها بمقدار بوصة أو  
أكثر من أعماقها ثم ناولها الى الرجل التالى .

### وهنا قال الرجل العصبى فى شجاعة فجائية :

— لم يحدث أن قلت أبدا : « يا سيدي »  
للطائر .. أقسم لكم أنني لم أقل تلك الكلمة  
للطائر .. ١

ولكن جان كوجان كان قد بدأ يقص رواية أخرى  
وهكذا أخذ المساء ينفى مع الأغنيات والقصص  
والروايات وثرثرة القرويين الى أن نهض جبرييل واقفا  
وانطلق مع جان كوجان الذى أخذه معه ليبيت معه فى  
مسكنه .

وكان الآخرون على وشك الانصراف عندما حضر  
اليهم هنرى فرأى الذى كان قد ذهب الى منزله فى وقت  
مبكر . حضر اليهم وهو يتفجر بالانارة .

فتساءل جوزيف فى ذعر : ماذا فى الأمر يا هنرى؟

— ان الأمر يتعلق بالسيد بنويوز مدير المزرعة .  
فقد ضبطته الأنسة أفردين متلبسا بالسرقة . إذ  
شاهدته وهو ينسلل خارجا من مخزن الغلال ومعه

وجود شخص غريب . وكان ذلك الرجل جالسا فى  
المؤخرة ثم دفع بالجرة بين يدي ذلك الرجل .

**وقال جاكوب سهولبرى :** انه رجل خجول . انك  
يا جوزيف ليس لديك الشجاعة التى تعينك على مجرد  
النظر فى وجه ربة البيت الشسابة . فلماذا تخجل  
يا جوزيف على هذا النحو ؟

**فقال جوزيف مبتسما ابتسامة خفيفة :** اننى  
لا أكاد أنظر اليها على الاطلاق . وعندما أحاول النظر  
اليها يدب الحجل والارتباك فى كيانى !

**وقال جان كوجان :** وهو أيضا شخص عصبى  
أيها الراعى أوك . فذات مرة كان عائدا للمنزل متأخرا  
بالليل عن طريق غابة يالبرى . فضل الطريق ، وراح  
يصيح بأعلى صوته : النجدة . النجدة .. انقذوتى  
فقد ضمت للأبد ! .. وتصادف أن صاح طائر فوق  
شجرة : هو Whoo هو Whoo هو Whoo مثلما تفعل  
طيور الليل .. وعندئذ ارتعد جوزيف وأجاب : أنا  
جوزيف بورجراس من وذربرى يا سيدي !

فهذه الفتاة قد اختفت ولم يعثروا لها على أثر . وكانوا في حالة انتظار لكي يلقوا الأبواب ويذهبوا للفراش للنوم ولكنهم يخشون أن يلقوا الأبواب فيؤدى ذلك الى احتجازها خارج المنزل . ولقد كانت هذه الحادثة في حالة نفسية سيئة طوال الايام القليلة الماضية حتى أنهم يظنون أن مكروها قد حدث لها ..

وجاء صوت خشن من بين شفتى جوزيف بورجراس الجافتين : « أوه . لقد احترق جسدها . احترقت حتى الموت !

**فقال لييان :** لا . انها لم تحترق ولكنها غرقت !

**وهنا قال بيل ابن جاكوب سهولبرى :** أو ربما هي قد فعلتها مستخدمة الموسى الخاص بوالدها .

حسنا . ان الآنسة افردين ترغب فى التحدث مع عدد منا قبل أن تذهب للنوم ، فهذه الآنسة تائرة للغاية بسبب المتاعب التى سببها مدير المزرعة وبسبب تغيب هذه الحادمة !

نصف زكبية من القمح . فاندفعت نحوه كالقطة ..  
أنتم بالطبع ستعتبرون تعليقاتى أمرا سرىا ؟

– سنحفظ السر يا هنرى . سنحفظ السر !

– حسنا . لقد هجمت عليه كالقطة الشرسة ..  
واعترف هو بأنه قد استولى على خمس حقائب مليئة بالغالل . ولذلك فقد طرده من وظيفته . والمسألة الآن هي : من الذى سيقوم بمهمة المدير مكانه ؟

وكانت المسألة خطيرة للغاية حتى أن هنرى قد احتاج لتناول جرعة كبيرة من شراب السيدر . وقبل أن يعيد الجرعة فوق المنضدة دخل « لييان تول » الى المكان بسرعة هائلة وتساءل : هل سمعتم الأنباء التى سرت فى جميع أرجاء الأبرشية ؟

– أهى الأنباء التى تتعلق بالسيد بنىوايز مدير المزرعة ؟

– ليس ذلك فقط . انها أنباء تتعلق بالآنسة فانى روبين وهى أصغر الخادعات عند الآنسة افردين ..

كستربردج وأنا اعتقد إنه جندي • ولكني لا أعرف  
اسمه • فقد احتفظت بالاسم لنفسها واعتبرته سرا  
لا يمكن البوح به ..

**فقال بيلي :** ربما أتمكن من العثور عليها إذا ذهبت  
الى ثكنات كستربردج •

**فقالت باتشيبيا :** حسنا • اذا لم تعد هي الينا  
في صباح الغد اذهب الى هناك وحاول أن تعرف من  
هو هذا الجندي ، وحاول أن تقابله • فانا أشعر أنني  
مستولة عنها حيث انها ليس لها أصدقاء أو اقارب •  
وأمل ألا تكون قد تعرضت لاية متاعب • وأفعل كما  
أمرتك به ..

ثم أغلقت النافذة •

امر الرجال بالقرب من كوخ كوجان أثناء سيرهم  
في طريق العودة الى منازلهم • وكانت الأضواء قد  
أطفئت في ذلك المنزل ، ولكن جبرييل لم يكن نائما •

وأسرعوا على طول الحارة نحو منزل المزرعة حيث  
ظهر امامهم رأس باتشيبيا يطل من نافذة غرفة النوم •

**وتساءلت في قلق :** هل هناك أى واحد من رجال  
بينكم ؟

**واستطردت :** فى الصباح الباكر غدا أريد أن  
يذهب اثنان أو ثلاثة منكم للاستفسار والبحث فى القرى  
المجاورة لمعرفة ما اذا كانوا قد شاهدوا خادمتي فاني  
روبين • وأرجو منكم أن تنفذوا ذلك فى شىء من الهدوء •  
فليس هناك ما يدعو للذعر والقلق حتى الآن • فمن  
المؤكد أنها غادرت المنزل أثناء انشغالنا جميعا فى  
أخماد النيران ..

**فتساءل جاكوب سمولبرى :** هل لها حبيب من  
الشبان الصغار ؟

**وجاء صوت ماريان متراخيا من نافذة أخرى :**

- ليس لها حبيب هنا • فحبيبها يعيش فى

اذ كان ذهنه مشغولا تحت جفنيه المغلقين بالصور  
الذهنية والحركة الدؤوب مثل نهر يتدفق بسرعة فوق  
ثلوجه . لقد كان الليل دائما هو الوقت الذي يشاهد  
فيه باتشيبا في مزيد من الوضوح ومن خلال الساعات  
البطيئة للظلام راح خياله يرقبها في رقة ورعاية .

## الفصل التاسع

لقد كان بيت مزرعة وذربرى العليا بمثابة مبنى  
حجري قديم فخم . وكان في يوم ما مسكنا لأسرة غنية  
تمتلك جميع الأراضي في الأبرشية . ولكن هذا البيت  
قد اجر فيما بعد مع الأراضي الزراعية المحيطة به ، من  
مالك للأرض يمت بصلة قرابة للمالك الأصلي من بعيد .  
وكانت واجهة هذا البيت والأجزاء الأمامية منه ما زالت  
تحمل طابع الوقار والفخامة التي يتميز بها المنزل الخاص  
لرجل جنتلمان . ولكن الأجزاء الخلفية من هذا البيت  
كانت تموج بحياة المزرعة المليئة بالعمل والطبوية

واستطردت : باستطاعتى رؤية الجزء العلوى من قبعتى .

فقالت **باتشيبيا** : التزمى بالهدوء !

وقرعت العصا فوق الجباب مرة أخرى بصوت  
أعلى .

فتساءلت **باتشيبيا** : لماذا لا تذهب مسز كوجان  
الى الباب ؟ - **واستطردت** : يا ماريان اذهبى أنت الى  
الباب ..

ولكن ماريان اعترضت على ذلك وقالت أن يديها  
غير نظيفتين .

- يا ليدى ينبغى عليك أن تذهبى لتفتحنى الباب!

ولكن ليدى كانت غارقة فى التراب والرماد  
وأخيرا شعرت **باتشيبيا** بالارتياح عندما سمعت مسز  
كوجان تفتح الباب وتراعى الى **سممها صوت عميق**  
**يقول** :

- هل الأنسة افردين موجودة بالبيت ؟

والحركة ، حيث كانت **باتشيبيا** تحتفظ بأربعة خادمات  
لانجاز شئون المنزل . اذ كانت هناك ليدى سمولبرى  
وهى حفيدة صاحب الحانة ، وهى فتاة من نفس عمر  
**باتشيبيا** وتعمل عندها كخادمة خصوصية ومرافقة  
شخصية لها . وكانت هناك مسز كوجان الطاهية كما  
كانت هناك ماريان . هذا بالإضافة الى فاني روبين التى  
لاذت بالفرار .

وفى الصباح عقب اختفاء فاني كانت **باتشيبيا**  
جالسة مع « ليدى » على الأرض فى احدى حجرات الدور  
العلوى ، حيث كانت تقوم بفرز وتصنيف مجموعة  
الكتب والأوراق المتربة الخاصة بعمتها التى انتقلت الى  
رحمة الله . ومن خلال الباب الموارب كان باستطاعتها  
مشاهدة ماريان التى تقوم بتنظيف الغرفة التالية .

**قالت باتشيبيا** : انصتى ! انتبهى !

كان هناك وقع أقدام حصان آخذ فى الاقتراب من  
واجهة المنزل . وبعدئذ طرقت عصا على الباب . فقالت  
**ليدى** وهى تنظر من النافذة : يا الهى انه جنتلمان ! ..

- لا توجد أية أنباء يا سنيدى • ولكن وليام  
سمولبرى ذهب الى كستربردج التى يعيش فيها  
حبيبها ، ويقوم الرجال الآخرون بالبحث عنها فى كل  
مكان •

وترامى وقع اقدام الحصان متلاشيا تدريجيا واغلق  
الباب •

فتساءلت باتشيبيا : من يكون المستر بولدوود ؟

- انه الجنترلمان صاحب مزرعة وذربرى السفلى •

- هل هو متزوج ؟

- لا يا آنسة •

- كم يبلغ عمره ؟

- فى حدود أربعين عاما • وهو وسيم للغاية ••

•• ويميل الى الوقار والرزانة • بالاضافة الى أنه غنى ••

فصاحت باتشيبيا فى ضيق وتبرم : ان التراب

يسبب لنا الكثير من المضايقات والمتاعب !! •• ثم

استطردت : ولكن لماذا يستفسر هو عن فانى ؟

وبعد لحظات ظهرت مسز كوجان وقد تقطعت  
ذراعها بالدقيق وقالت : لقد كنت أقوم بخبز قدر من  
الخبز يا آنسة • ويوجد هنا الآن المستر بولدوود حيث  
يريد مقابلتك ••

ان ملابس المرأة هى جزء من شكلها العام  
ولذلك قالت باتشيبيا على الفور : لا أستطيع مقابلته  
وانا فى هذه الحالة • فماذا عسائ ان أفعل ؟

فقالت ليدى : يمكنك ان تقولى أنك مغطاة بالتراب  
ولا تستطيعين النزول الى الدور الأول •

- قولى أنك لا تستطيعين مقابلته ••• وهذا يكفى  
لانها الموقف •

وهبطت مسز كوجان على السلالم الى الدور  
الأول • وقالت نفس الاجابة التى اقترحتها ليدى  
فقال الصوت العميق فى غير اهتمام : حسنا • كنت  
فقط أريد أن أسأل عما اذا كنتم قد سمعتم أية أنباء  
عن فانى روبين !

خارج كوخ عمته . ثم اضافت : ولكنه لم يكن الشخص المناسب لي تماما ..

- انه من الممتع أن ترفضى الزواج من رجل بينما معظمنا على استعداد للترحيب بالزواج . يخيل لي أنك قد قلت : « قبل قدمي يا سيدي لأن وجهي لا يقبله الا الأفواه الأكثر غنى » .. وهل كنت تشعرين نحوه بالحب يا آنسة ؟

- أوه . لا . كنت فقط أرتاح اليه بعض الشيء .  
وتوقفت قليلا عن الكلام ثم اضافت : انتبهى .  
الرجال قادمون . دعيمهم ينتظروننى فى المطبخ الى أن أنتهى من ارتداء ملابسى وبعدئذ أحضريهم لي فى القاعة .  
وبعد نصف ساعة جلست باتشيبيا الى منضدة واستعدت لدفع الأجور للرجال . وقالت : قبل البدء فى تسديد مستحقاتكم أود أن أقول لكم أن مدير المزرعة قد تم طرده بسبب ارتكابه جريمة السرقة . ولقد قررت انجاز الأعمال بدون مدير للمزرعة حيث سأقوم أنا بنفسى بانجاز الأمور بدلا منه ..

- لأنها لم يكن لها أى أصدقاء أثناء فترة طفولتها فتعهدوا وعلمها فى المدارس ، وبعدئذ الحقها بالعمل هنا عند عمك . انه رجل شغوق للمضايقة . ولكنه شخص ميثوس منه بالنسبة للسيدات . فجميع الفتيات الشابات فى هذه المنطقة قد حاولن التودد اليه والفوز به . ولقد أنفقت ابنة فارمر ايفيز عشرين جنيها على شراء الملابس الجديدة من أجل أن تجذب انتباهه اليها ، ولكنها لم تفلح فى هذا الشأن ، وأصبح حالها كأنها قد القت بعشرين جنيها من النافذة .. هل حدث أن تقدم اليك أى شاب للزواج منك فى أى وقت من الأوقات يا آنسة ؟

وقد تجرات على توجيه هذا التساؤل عندما اتصرفت ماريان ونزلت الى الدور الأول .

فصمتت باتشيبيا قليلا ثم قالت : لقد تقدم لي رجل يطلب الزواج منى ذات مرة .

وقفزت الى ذهنها صورة جبريل اوك وهو واقف



الحرس الملكي الحادى عشر لسلاح الفرسان كاستربردج  
فجأة . وقد مر هذا الحرس بالقرب منا هنا فى طريقهم  
نحو ميلشستر . وكان حبيب فانى واحدا من رجال  
الحرس الملكي : وهى قد ذهبت وراه . .

- هل عرفت اسمه ؟

- لا يا آنسة . ولكنى اعتقد أن رتبته العسكرية  
اعلى من الجندى العادى .

**فقالت باتشيبيا وهى تنهض واقفة امام المنضدة :**

- حسنا . يستحسن ان يذهب واحد منكم لابلغ  
فارمر بولدوود بهذه المعلومات . . واستأنفت : والآن  
تذكروا أننى سأقوم بالعمل بدلا من مدير المزرعة .  
وسأبذل قصارى جهدى . واذا أخلصتم فى العمل  
سأكافئكم على اخلاصكم . ولا أريد من أحدكم أن يلجا  
للحيل المخادعة والأعمال الدنيئة مستغلا وضعى كامرأة .  
ولسوف استيقظ من النوم قبل أن تستيقظوا . ولسوف

وسهق جميع الرجال فى دهشة بالغة . الا أنهم  
تقدموا الواحد تلو الآخر للحصول على أجورهم بدون  
إبداء أى تعليق على غرابة هذا القرار . وعندما انتهت  
من تسديد مستحقاتهم أغلقت دفتر الحسابات وتساءلت  
عما اذا كان أى فرد منهم قد عرف معلومات وأخبارا عن  
فانى . ولم يكن لديهم أية أخبار عنها ولكن فى تلك  
اللحظة ترامى وقع أقدام فى المرمر . فقد رجع بيسلى  
سمولبرى عائدا من كستربردج .

**وقال :** كنت سأصل إليكم هنا فى وقت مبكر  
يا آنسة لولا رداة الطقس .

ولاحظ الجميع فجأة وجود الجليد فوق حدائه .  
ولا بد أن الجليد قد بدأ يتساقط خلال الساعة الأخيرة .

**فقالت باتشيبيا وقد نفذ صبرها :** حسنا وماذا  
عن فانى ؟

**فقال وليام :** لقد هربت مع الجنود . فقد غادر

## الفصل العاشر

وفي ساعة متأخرة من هذا المساء الثلجي ، كان هناك هيكل وحيد يتحرك بجوار ضفة النهر الصغير الذي يقع على مسافة أميال عديدة شمال وذربري . وعلى الجانب الآخر من النهر كان يوجد الحائط العالي لبعض تكنات الجيش .

وعندما دقت ساعة حائط مجاورة العاشرة مساء توقف الهيكل وبدأ عليه كأنه يعد التوافق في الحائط العالي . ثم انحنى وبعدئذ طارت كرة ثلجية عبر النهر نحو النافذة الخامسة . ولكن الكرة أخطأت النافذة .

أذهب الى المزرعة قبل أن تذهبوا اليها . قصارى القول أننى سأبهركم جميعا وأبهر دهشتكم . طابت ليلتكم !  
وانسابت باتشيبيا المرتدية ثوبها الحريري الأسود فى هيبة جليلة خارجة من الصالة بينما ليدي تسير وراءها فى فخر واعتزاز .

- لقد قلت اننى باستطاعتى المجيء . فسألت  
شخصا ما عن رقم نافذتك . اغفر لى ! ولكنك سعيد  
برؤيتى اليس كذلك يا فرانك ؟ هل باستطاعتك ..  
هل يسكنك المجيء الى ؟

- أنا بالطبع مسرور لرؤيتك ولكن بوابات الشكنات  
مغلقة فى هذه الليلة . كيف جئت الى هنا قادمة من  
وذبرى ؟

- لقد قطعت جزءا من الطريق سيرا على الأقدام  
ثم ركبت فى عربة يجرها حصان . اوه . يا فرانك .  
متى سيتم ذلك الأمر ؟

- ماذا تقصدين ؟

- أقصد ذلك الأمر الذى وعدتني به .

- اننى لا أتذكر تماما .

- اوه .. لا تتذكر .. لا تقل هذا الكلام .  
فكلامك هذا يؤذى مشاعرى . أنت تدرك تماما معنى

فهذه الرمية هى فكرة نبعت من ذهن رجل ونفذتها  
امرأة . وتوالى المحاولات الواحدة تلو الأخرى . وأخيرا  
ضربت كتلة تلجية النافذة .

ولم يسمع شيء كرد على هذه الإشارة باستثناء  
الصوت الحزين للنهر الناجم عن ارتطام المياه بجوانبه  
الا أن نافذة فتحت بعد لحظات وقال صوت ما :

- من هناك ؟

فتساءل الهيكل الواقف بين الثلج فى عصبية  
بالغة : أنت الرقيب تروى ؟

فرد الصوت فى شيء من الريبة والشك :  
نعم . من أنت أيتها الفتاة ؟

فصاح الهيكل : اوه . فرانك . ألا تعرفنى ؟  
اننى حبيبتك فانى روبين !

فصاح الصوت فى دهشة : فانى ! اننى لم أتوقع  
مجيئك فى هذه الليلة .

للحصول على تصريح منهم • وحضورك على هذا النحو هو أمر فجائي للغاية وغير متوقع تماما •

- نعم • اننى قد أخطأت بتصرفى هذا الذى سبب لك المتاعب • ولسوف أنصرف الآن • هل يمكنك المجيء لمقابلتى غدا عند مسز تويلز بمنزلها بشارع نورث ؟ فانا لا اود المجيء مرة أخرى الى الشكنات • ففى هذا المكان توجد الكثير من الفتيات العاهرات وهن يعتقدن اننى منحرفة مثلهن !

- وهو كذلك • سأجىء لك يا حبيبتى • طابت ليلتك !

- طابت ليلتك يا فرانك • طابت ليلتك !  
وأغلقت النافذة • وتحرك الهيكل مبتعدا •  
وعندما ابتعد الهيكل تماما صدرت صيحة من وراء الحائط : أوه • أيها الرقيب • أوه ! أوه !

وتلاشت اجابة غاضبة بين انفجار من الضحكات الخافتة التى تلاشت بدورها فى أصوات هدير المياه فى مجرى النهر فى الحارج •

كلامى •• متى سنتزوج يا فرانك ؟

- أوه • فهمت • حسنا •• ينبغى عليك أولا الحصول على الملابس الملائمة • وينبغى أن نبلغ الكنيسة عن رغبتنا فى الزواج •

- نعم • أوه فرانك • أنت تعتقد اننى أدفعك الى ذلك الزواج دفعا • ولكنى احبك حبا صادقا عنيفا •  
وأنت قلت لى مرات عديدة أنك ستزوجنى و ••  
و •• وأنا •• أنا •••

- لا تيكى الآن • من السخف أن تيكى هكذا •  
إذا كنت قد قلت لك هذا الكلام فانا سوف أنفذ كلامى بالطبع !

- هل ستبلغ القسيس برغبتك فى الزواج غدا ؟

- ليس غدا • سأبلغه فى خلال أيام قليلة • فانا ينبغى على أولا الحصول على تصريح من الضباط الذين يرأسوننى • وحقيقة الأمر اننى قد نسيت التقدم بطلب

كاستربردج حيث كانت تصب في احدى يديها حبات قليلة من القمح وتعرضها عليهم للفحص .

وأولئك الذين لم تعقد معهم صفقات تجارية كانوا يسألون بعضهم البعض عن تكون هذه الفتاة ويعلقون قائلين أن شكلها الجميل يعطى بهجة واشراقا للسوق . وكان الاهتمام العام بشخصيتها قد جعلها تشعر كأنها ملكة متوجة بين هؤلاء الناس . ولكن بين الحشد الغفير الذي يضم كافة الناس كان هناك استثناء واحد فعيون النساء لا تخطيء في ادراك مثل هذه الأمور . ولذلك أدركت باتشيبيا أن هناك شخصا ما لم يكن ضمن موكب المعجبين بها .

وتحيرت من هذه الحقيقة في بادئ الأمر . إذ كان واضحا أنه جنتلمان في مظهره الخارجي . حيث كان يرفع رأسه عاليا ويتسم بالهدوء والوقار في مسلكه . كان يتسم بالوقار والرزانة بصفة خاصة . أما عمره فكان يتراوح ما بين ٣٥ عاما و ٥٠ عاما وأدركت

## الفصل الحادى عشر

كانت أولى الدلائل العسامة المترتبة على قرار باتشيبيا بأن تصيح فلاحا ، هي ظهورها في يوم السوق التالى في سوق الغلال في كاستربردج . ولم يكن في تلك السوق سوى شخصين أو ثلاثة أشخاص من الفلاحين المعروفين لها شخصيا ولكن الأعمال التجارية ينهى القيام بها حتى بدون أية مقدمات أو تعارف . وسرعان ما دب فيها الشعور بالثقة بالنفس حتى أنها بدأت تتكلم مع الأغرب في جرأة وشجاعة وتعرض عليهم عيناتها من القمح بالطريقة المهنية السائدة في

حوالى اربعين عاما على ما اعتقد . هل تعرفين من يكون  
هذا الرجل ؟

ولم تستطع ليدى التعرف على شخصية ذلك  
الرجل . فتساءلت **باتشيبيا** فى شيء من **الاجباط** : ألا  
يمكن أن تخمنى على الاطلاق ؟

- ليس لدى أدنى فكرة عنه . وعلى كل حال  
فالامر لا يعنيك كثيرا طالما أنه لم يلتفت اليك ولم يهتم  
بك مثل الآخرين !

وكانت مشاعر **باتشيبيا** مختلفة بعض الشيء عن  
مشاعر ليدى ازاء ذلك الامر . واستمرت فى قطع  
المسافات بالعربة فى صمت . وبعدئذ لحقت بهما عربة  
منخفضة منطلقة وراء حصان رائع ، وتخطتها بسرعة  
**فصاحت باتشيبيا** : ها هو الرجل الذى حدثتك عنه !

**فنظرت ليدى** وقالت : ذلك الرجل ! .. انه  
المزارع بولوود .. وهو الرجل الذى لم تقابليه عندما  
جاء الى بيتك منذ أيام قليلة .

**باتشيبيا** بغريزتها أن هذا الشخص الذى لا يتأثر بسحر  
الجمال كان غير متزوج .

وما أن انتهت من مهامها فى السوق حتى اندفعت  
نحو ليدى التى كانت تقف فى انتظارها بجوار العربة  
الصفراء الصغيرة التى يجرها الحصان والتى جاءتا فيها  
الى السوق . وبعد أن انطلقنا بالعربة قالت **باتشيبيا** :  
لقد كنت امر بلحظات عصيبة يا ليدى . ولكن الامر  
انتهى الآن . ولكن أهتم بذلك الامر مرة أخرى لأنهم  
سوف يعتادون على رؤيتى هنالك . ففى هذا لصباح  
كنت أشعر بنفس المتاعب التى تمر بها امرأة متزوجة :  
كانت العيون تخملق فى فى كل مكان . ولكن كان هناك  
رجل واحد عاقل لم يشأ أن يضيع الوقت فى الحلقة  
فى !

وقالت ذلك الكلام على هذا النحو لكى لا تعتقد  
ليدى أنها تضايقت من ذلك الموقف . **واستطردت** : انه  
رجل وسيم للغاية . طويل القامة . يبلغ من العمر

## الفصل الثاني عشر

وبعد ظهر يوم من أيام الآحاد ، وفي داخل منزل المزرعة كانت باتشيبيا قد طلبت من ليدي أن تجيء إليها وتجلس معها . وكان الجو كثيبا في وقت الشتاء قبل اشغال الشروع ، الا أن كلام ليدي انساب كالفيضان وأضفى البهجة على المكان .

وتساءلت ليدي : هل لاحظت مسلك المستر بولدوود في الكنيسة في صباح هذا اليوم يا آنسة ؟  
انه لم يلتفت اليك ولو مرة واحدة طوال تأدية الصلوات  
بأكملها . . .

بعيدا عن الناس - ٩٥

فقالبت باتشيبيا في تمتمة : أوه . المزارع بولدوودا  
وراحت ترقبه وهو ينطلق بعربته المسرعة . وهو  
لم يلتفت برأسه على الاطلاق . وانما مر كأنما هي  
ومقاتنها وجمالها لا وجود لهم على الاطلاق .  
وقالبت باتشيبيا معلقة : انه رجل ممتع ومشوق .  
هل تعتقدين ذلك ؟  
فوافقتها ليدي على رأيها . . .

جميل له . ولذلك فانا أفضل ارسال هذا الكارت  
باسمه الآن . ترى ماذا اكتب له في هذا الكارت ؟

**فقالتي ليدى على الفور :** يمكن أن تكتبي شيئا  
من هذا القبيل :

الورد أحمر اللون

وجميل وممتع أيضا

ورائحته لذيذة وحلوة

وأنت مثل الورد تماما

**فقالتي باتشيبيا :** نعم . ان تلك الكلمات تتلام  
تماما مع طفل جميل الوجه مثل تيدى .

وكتبت تلك الأبيات على الكارت ووضعت في  
مظروف ، وكانت على وشك أن تكتب عنوان تيدى على  
المظروف عندما قالت **ليدى :**

- ان ارسال هذا الكارت الى مستر بولدوود  
المغبي سيثير الكثير من المزاح والهزل وسيؤدى الى بث  
الدهشة والتعجب في كيانه !

**فتساءلت سيدتها وقد ظهر عليها شيء من الضيق  
والتبريم :** ولماذا ينبى عليه ان ينظر الى ؟ .. فانا لم  
اطلب منه ان يفعل ذلك !

- اوه . ٧٠ . ولكن كل شخص آخر في الكنيسة  
كان يرقبك من وقت لآخر . ولذلك كان من الغريب الا  
ينظر هو اليك على الاطلاق . وعلى اية حال فهو  
جنتلمان غنى وليس هناك ما يدعو له لأن يهتم .

والتزمت باتشيبيا الصمت للحظات قليلة .  
**وبعدتذ صاحت قائلة :** اوه يا ليدى .. غدا ١٤ فبراير  
يوافق عيد القديس فالنتين .. ولقد كدت أن أنسى  
كارت المعايدة الذى اشتريته !

**فتساءلت ليدى :** كارت معايدة ؟ .. لمن سترسلين  
كارت المعايدة يا آنسة ؟ .. هل سترسلينه للمزارع  
بولدوود ؟

- لا .. لقد اشتريت كارت المعايدة من  
اجل تيدى كوجان الصغير . فقد وعدته بتقديم شيء



لصالح تيدي . . ولكن لا . . لا ينبغي أن نلقى بالنقود ونلهو بها في أيام الآحاد فهذا يؤدي الى تشجيع الشياطين ؟

- اذن القى بهذا الكتاب . ولن يكون هناك أى خطأ في ذلك يا آنسة .

- حسنا . المفتوح لصالح بولدوود والمغلق لصالح تيدي . لا . لا . من المحتمل أكثر أن يسقط الكتاب مفتوحا . فلنجعل المفتوح لصالح تيدي والمغلق لصالح بولدوود .

وطار الكتاب في الهواء وهبط على الأرض مغلقا . وهنا أمسكت باتشيبيا بالقلم - دون أن يبدو عليها أى اهتمام على الإطلاق - وكتبت عنوان بولدوود على المظروف .

ثم قالت : والآن أشعلى شمعة يا ليدى . ترى : أى الأختام نستخدم ؟ فهنا يوجد ختم رأس الأسد . لا . ما هذا ؟ ختم الحمامتين ؟ لا . ينبغي أن يكون الختم شيئا غير عادى . اليس كذلك يا ليدى ؟ هل هنا يوجد

وتوقفت باتشيبيا عن الكتابة وراحت تفكر في هذا الكلام الذى قائلته ليدى . انها لم تكن متضايقه للغاية بسبب عدم اهتمامه بها . الا أن عدم اكترائه بها قد طعنها في كبريائها ، لانه اكثر الناس احتسراما في الأبرشية . ومع ذلك فلا يحاول النظر اليها على الإطلاق . حتى أن فتاة مثل ليدى قد لاحظت ذلك واخذت تنطرق الى هذا الموضوع .

وقالت باتشيبيا : لا . لن أفعل ذلك . فهو لن يرى أى مزاح في هذا التصرف !

فاصرت ليدى على رايها قائلة : من المؤكد انه سينتابه القلق وينشغل باله تماما .

فكالت سيدتها : هل سيحدث له ذلك ؟ اننى لا أريد ارسال الكارت الى تيدي بصفة خاصة . فهو في بعض الأحيان يميل الى الشقاوة بعض الشيء . ثم اضافت في غير مبالاة : هيا بنا نلقى بقطعة من العملة المعدنية لأعلى لكى نحسم الأمر مثلما يفعل الرجال . . [ ملك أو كتابة ] الملك لصالح بولدوود والكتابة

ختم مكتوب عليه رسالة • وربما تكون الكتابة المنقوشة عليه غريبة وهزلية ولكني لا أستطيع قراءة الكلمات المعكوسة الاتجاه • هيا بنا نجرب هذا الختم •

وقامت بإذابة بعض الشمع مستخدمة لهيب الشمعة وأغلقت المظروف بالشمع المذاب • وبعدئذ ضغطت بالختم على الشمع الساخن وأمنت النظر عن كتب لكي تعرف الكلمات المكتوبة •

ثم صاحت وهي تلقي بخطابها وتضحك بصوت مرتفع :

— هذا عظيم للغاية • فالكلام المكتوب يمكنه أن يطبع بوقار أى قسيس ويقلب كيانه !

ونظرت ليدى الى كلمات الختم وقرأت : تزوجنى ! وهكذا تمت الاجراءات التنفيذية بطريقة طائشة ، وبدون مراعاة لمشاعر الآخرين وبدون شعور بالمسئولية • وتم الغاء الخطاب فى صندوق البريد فى نفس اليوم لكى يتم تسليمه فى مزرعة ودربرى السفلى فى صباح اليوم التالى •

## الفصل الثالث عشر

وفى مساء يوم القديس فالنتين ، جلس المزارع بولدوود لتناول طعام العشاء كالمعتاد بجوار جذع شجرة مشتمل بالنيران الناصعة • وعلى الرف الموجود فوق المدفأة ، كان يوجد خطاب باتشيبيا • وأثناء تناوله الطعام راح يتمعن فى الكلمات المطبوعة مع الختم فى ولع واعجاب : تزوجنى !

ومنذ أن وصل ذلك الخطاب فى صباح اليوم وهو يشعر أن توازن حياته بدأ ينقلب تدريجياً وفى بطنه ، بعد أن رسخ فى ذهنه أن هناك امرأة ما ممتازة تحبه وتعشقه كثيراً مما دفعها الى ارسال الخطاب له •

يجد أى شىء فى داخله . فشعر بالقلق وتضايق من نفسه بسبب تلك الاثارة العصبية التى اجتاحتها ثم عاد الى سريره .

وعندما اشرق الصباح ارتدى ملابسه وخرج من المنزل وراح ينظر فيما حوله . كانت الشمس الساطعة باللون الاحمر ترتفع فى بطنه فوق السفح الجليدى للتل . وكان سطح الثلج قد تحمد أثناء الليل . وكانت انطباعات أقدام بعض الطيور القليلة التى وقفت على هذا السطح عندما كان الثلج لنا قد تجمدت وأصبحت واضحة المعالم . وقطعت عليه أفكاره عندما سمع أصوات عجلات خفيفة . لقد كانت تلك الأصوات منبعثة من عربة البريد التى دخلت الى الحارة فى بطنه . وكان سائق تلك العربة يمد يده الممسكة بخطاب . فأمسك بولدوود بالخطاب وفتحته على الفور متوقفاً انه خطاب آخر حاه من المعجبة الجهورية .

**فقال ساعى البريد :** لا اعتقد أن هذا الخطاب مرسل لك يا سيدى . انه مرسل لراعى الغنم عندك رغم انه لا يوجد عليه الاسم .

وعندما ذهب للنوم فى فراشه وضع الخطاب عند أحد أركان المرآة الموجودة فى غرفة نومه . فهذه هى أول مرة فى حياته يحدث فيها مثل هذا الأمر . وكان واثقا أن هذا الخطاب قد أرسل من أجل تحقيق هدف جاد وهام ، ولذلك لم ينظر الى الخطاب على أنه من قبيل التصرفات غير الأخلاقية أو السيئة السلوك .

لقد طافت يد امرأة ما فى حنان فوق الورقة التى حملت اسمه . ومن المؤكد أن ذهنها فى تلك الأثناء قد انصب عليه . ولا بد أنه قد انطبع فى حياها وتصوراتها . . . لماذا راحت تتخيله فى ذهنها ؟ . . . ترى : ما هو شكلها ؟

وعندما استغرق فى النوم بدأت تتجسد له فى احلامه . وعندما استيقظ كان هناك الخطاب الذى يبرهن له على صدق احلامه . **وفجأة راح يسائل نفسه :** هل هناك كلام آخر يمكن أن يكون مكتوباً فى ورقة فى داخل المظروف ؟ فقفز ناهضاً من سريره تحت ضوء القمر وهز المظروف وراح يبحث فى داخله . ولكنه لم

## الفصل الرابع عشر

كان الجد الأكبر سمولبرى موجودا فى مطبخه حيث كان يتناول طعام الافطار . وكانت البطاطس يتم شواؤها بين الرماد الساخن حول النيران ، مع انشاء ضخم مليء بالقهوة الآخذة فى الغليان والمكونة فى معظمها من الخبز المحترق .

وكانت هناك أصوات متباعدة من الخارج ، وبعدئذ ظهر هنرى فرأى عند باب الحانة وتقدم نحو النيران وهو ينفذ الثلج عن حذائه أثناء السير ، وتبعه ماتيو مون وجوزيف بورجراس وآخرون ، وقد أمسكوا

وعندئذ نظر بولدوود الى العنوان المكتوب على المظروف فقرا « الى الراعى الجديد للأغنام / مزرعة وذربرى / بالقرب من كاستربرج ، فصاح : ابوه يا لها من غلطة ! الخطاب ليس لى وليس موجها لراعى الغنم التابع لى . انه موجه للرجل الذى يعمل عند الآنسة افردين والذى يسمى جبرييل أوك . يحسن بك أن تأخذ الخطاب لتعطيه له وتقول له أننى فتحته بطريق الخطأ . لا . أنتظر » وكان هناك هيكل رجل يعبر خط السماء عند الأفق وقد سار وراءه كلب . وقال بولدوود : ها هو الرجل جبرييل أوك يسير فوق التل سأذهب اليه بنفسى لأعطيه خطابه ! .

ولم يكن الأمر بالنسبة لبولدوود هو مجرد تسليم خطاب لرجل آخر . وإنما كان سانحة له للقيام ببعض التحريات الخاصة . وسار فى لهفة وراء الراعى الذى كان يهبط نازلا من فوق التل متجها نحو الحانة .

الأخر : أيها الجيران .. هل لديكم مكان من أجل عدد قليل من الحملان المولودة حديثا ؟  
- بالتأكيد أيها الراعي !

وهنا فتح الباب على مصراعيه وظهر جبرييل أوك وقد وضع على كتفيه أربعة حملان صغيرة . ودخل وراءه كلبه العجوز جورج في وقار وهو الكلب الذي أحضره معه من نوركومب .

ونادى على مساعده الشاب الصغير : احضر باقى الحملان يا كين .. ثم عد بسرعة الى النعاج . ولسوف أجيء اليك بسرعة .

وهنا دخل الى الفندق كين بول ، وهو شاب بشوش مشرق الوجه له فم مثل الثقب المستدير الصغير . ووضع على الأرض حملين صغيرين ثم خرج مرة أخرى . وبعدها قام جبرييل بتدبير جميع الحملان فى بعض القش ، ووضعهم جميعا حول النيران . ثم قال : لا يوجد لدينا فى هذه المزرعة كوخ خاص بالحملان

فوانيس بأيديهم ، حيث كانوا مشغولين فى تاديبه أعمالهم منذ الساعة الرابعة من صباح ذلك اليوم .

واستفسر صاحب الحانة العجوز : وكيف يمكنها انجاز الأعمال بدون أن يكون لديها مدير مزرعة ؟

فهز هنرى رأسه وابتسم ابتسامته المعهودة المريرة .

وقال : انها ستندم على ذلك . ولكنها لا ترغب فى الإصغاء لآى نصيحة . والفخر والغرور هما السبب الرئيسى فى المتاعب التى تواجهها ! لقد كنت أنا نفسى استحق العمل فى وظيفة مدير المزرعة !

وعلى مدى العشر دقائق التالية ، انخرطوا جميعا فى مناقشة شخصية باتشيبيا والتغيرات التى أحدثتها منذ أن أصبحت هى المسئولة عن مزرعة وذربرى العليا خلال فترة قصيرة . وبعدها تراسى الى سببهم وقع اقدام ثابتة وعالية بالحارج . ثم فتح الباب فتحة تصل الى حوائى ست بوصات ونادى شخص ما عند الجانب

ثم صدرت عن شفثيه هو ذلك الصوت الغريب  
المعروف تماما .

**فقال جبريل في حدة : يا مارك . اننى لن أسمع  
بعدها مثل هذا الكلام الخليع عن الآنسة افردين :**  
هل تسمعين ؟ . ثم أضاف ملتفتا في وحشية نحو  
**جوزيف بورجراس :** وانت بالذات . اعتقد أنك كنت  
تتحدث عنها كلاما فى غير صالحها ؟

**فقال جوزيف وهو يرتعد رعبا : لا . لا . لا . لم  
أتحدث بكلمة واحدة ضدها . كل ما قلته عنها : انه  
لشيء بهيج . انها متماسكة ولم تندهور . أما مانيو  
فقد قال —**

**فقال مانيو فى قلق : أنا ؟ انتم تعرفون اننى لا  
أستطيع أن أؤذى دودة صغيرة !**

**فقال جبريل : حسنا . هناك شخص ما بينكم  
حاول الاضرار بها . واسمعونى أيها الجيران . .**

ثم ضرب جبريل بيده النقبيلة الكبيرة على

المولودة ولقد كان لدى دائما فى نور كومب كوخ خاص  
بالميلان . . واستطرد : فانا اذا لم أحضر اليكم هنا  
يا مستر سمولبرى لكنك قد وقعت فى ورطة وأصبحت  
لا أعرف ماذا أفعل فى هذا الجو الشديد البرودة . كيف  
حالك اليوم ؟

— أوه . . لست مريضا ولا مكتئبا أيها الراعى .  
ولكنى لا أشعر بقوة الشباب . والأمور ليست كما  
كانت عليه . ولقد كان الرجال يتحدثون منذ لحظات عن  
الأنشطة الغريبة التى تقوم بها صاحبة المزرعة !

**فتساءل جبريل : وماذا كنتم تقولون عنها ؟**

والتفت بحده نحو الرجال الآخرين بينما الدعاء  
الحمرأ تقفز الى وجهه .

**فقال مارك كاراك :** هؤلاء الرجال المتوسطو العمر  
كانوا يوجهون الانتقادات اليها بسبب شعورها بالافتخار  
والغرور . ولكنى أقول : أعطوها فرصة وباركوا وجهها  
الجذاب الجميل . . كم أود أن أقبل تلك الشفتين !

وأعطاني ساعي البريد خطاباً ففتحتُه بدون أن أقرأ  
العنوان المكتوب عليه . واعتقد أن هذا الخطاب مرسل  
لك . وأرجو أن تغفر لي هذه الغلطة لو سمحت !

**فقال جبريل على الفسود : بالطبع يا مستر  
بولدوود**

ثم راح يقرأ الخطاب :

صديقي العزيز : انني لا اعرف اسمك . ولكنني  
أريد أن أشكرك على عطفك علي في تلك الليلة التي  
غادرت فيها وذبري . لقد انتهى كل شيء علي ما يرام .  
ولسوف أتزوج من الشاب الذي ظل حببني لفترة من  
الوقت . . وهو الرقيب « تروي » الذي ينتمي للحرس  
الملكي الفرنسي الحادي عشر . وهو رجل يتميز بالشرف  
ووضعه الاجتماعي ممتاز ، بل انه في الحقيقة رجل نبيل  
تجربى في عروقه دماء نبيلة . ونحن نهدف الى عمل  
مفاجأة في وذبري عندما نعود اليها في القريب العاجل  
كزوج وزوجة . مع خالص شكري وأمنياتي .  
فأى روبين

المنضدة في عنف رغم انه من اكثر الناس الذين يتميزون  
بالبهوه والرزانة والذوق .

**واستطرد قائلاً : من يبادر منكم بالاساءة الى  
سيدتنا سأوقفه عند حده بالقوة . . والا فلن يكون  
اسمى هو جبريل أوك !**

**فصاح مارك كلارك : اسمح ! ذلك بالضبط  
هو ما كان ينبغي علي أن أقوله .**

ورغم أن الكلب جورج لم يكن يفهم الكثير من اللغة  
الانجليزية الا أنه نظر لاعلى وصدرت عن حلقه زمجرة  
وحشية منخفضة .

**فقال هنري فراي محاولاً تهدئة الموقف : والآن  
هدىء من روعك أيها الراعى . . واجلس !**

وفي نفس اللحظة دخل المزارع بولدوود الى الفندق  
وراح يومي برأسه محيياً كل فرد من الحاضرين بوقاره  
المعهود . ثم قال : آه . يا أوك . لقد اعتقدت أنك  
موجود هنا . فقد قابلت عربة البريد منذ عشرة دقائق

الانضمام الى الجيش . وانا أشك في أن فاني  
ستفاجئنا بالزواج من هذا الشاب على النحو الوارد  
في خطابها يالها من فتاة حمقاء !

وفتح الباب على مصراعيه مرة أخرى ودخل  
كبن الصغير لاهت الأنفاس تماما . لقد ولدت نعتجان  
أخريان فأرسلوه لاستدعاء الراعي على الفور .  
فهب جبريل واقفا وطاردا من ذهنه تلك الأفكار عن  
فاني المسكينة . والتقط هو وكين الحملان الستة  
المستلقية بالقرب من النيران . واختفيا أثناء اتجاهاهما  
نحو حقل الحملان .

فسار بولدوود وراهما لمسافة قصيرة ثم تردد  
وستندار عائدا ولكنه غير رأيه وسار وراهما مرة  
أخرى . وبعد لحظات قليلة عرض على جبريل  
الخطاب الذي أرسلته باتشيبا .

**وقال مدعيا عدم الاهتمام وقلة الاكترات :**  
لقد كنت على وشك أن أسالك يا أولك عما اذا كنت  
تعرف خط من كتب هذه العبارة ؟

**وقال جبريل :** هل قرأت ذلك الخطاب يا مستر  
بولدوود ؟ اذا لم تكن قرأته فيستحسن أن تقرأه .  
فانت مهتم بشئون فاني روبين .

فقرأ بولدوود الرسالة وظهر الحزن على وجهه  
**وقال :** مسكينة فاني ! فالزواج الذي تحدث عنه في  
تأكيد وثقة لمن يحدث في أى وقت من الأوقات . . ويبدو  
من الخطاب أنها لم تذكر عنوانها .

**فتساءل جبريل :** « ما هي طبيعة هذا الرجل  
الذي يسمى العريف تروى ؟ »

**وقال بولدوود :** انه شخص لا يمكن الاعتماد  
عليه . رغم أنه شخص ماهر وذكى . لقد كانت أمه  
مدرسة تدرس اللغة الفرنسية . ويبدو أنها كونت  
علاقة حب سرية مع المرحوم اللورد سفيرن . ثم  
تزوجت طبيبا فقيرا ثم أنجبت ولدا بعد ذلك .  
وعندما كبر هذا الولد عمل كاتباً عند محامى في  
كاستر بروج . وربما كان من الأفضل له عدم



فحملق جبرييل فى الكلام المكتوب وقال على  
الفور : انه خط الآنسة افردين !

ثم دبت الدماء فى وجهه عندما لاحت له فكرة  
جديدة : ينبغى الا يكون هناك توقيع على الخطاب  
الفور : « انه خط الآنسة افردين ! » .

ولاحظ بولد وود ان الاضطراب قد دب فى  
كيان جبرييل فقال : ان التساؤل فى محله تماما .  
فانت كما تعرف تكون هناك استفسارات خاصة  
بشأن مثل تلك البطاقات التى ترد فى المناسبات  
والتى تجىء بدون أسماء . فهنا يكمن المزاح !

وإذا كانت كلمة - « مزاح » معادلة لكلمة  
« ألم » لما كان بولدوود قد نطقها بوجه أكثر تعاسة  
مما حدث !

## الفصل الخامس عشر

وفى صباح أحد أيام الأسبوع ، نهضت مجموعة  
من المتعبدين - معظمهم من النساء - من السجود على  
ركبائهم فى ختام الصلاة بكنيسة جميع القديسين .  
وكانوا على وشك مفادرة الكنيسة عندما جذب  
انتباههم وقع أقدام سريعة تدخل الى الكنيسة  
فنظروا فيما حولهم . فوجدوا شابا فارسا مرتديا  
الزى الرسمى الأحمر ، وقد ظهرت على ذراعه  
الأشرطة التى تدل على رتبته بدرجة رفيب . وسار  
هذا الشاب الى وسط الكنيسة محاولا عدم اظهار  
الإرتباك والخجل الذى يعتمل فى داخله .

بالكنيسة معلنة الساعة الثانية عشرة الا ربع مما جعل  
بعض المشاهدين بالكنيسة يقفون فى دهشة .

**وهمس صوت مرة اخرى : ترى : أين المرأة ؟**  
وظهر حينئذ وقع خفيف لبعض الأقدام وبعض الكحة  
المفتعلة . وهى علامات تدل على العصبية والقلق .  
ثم ترامت ضحكة ، ولكن الجندى لم يتحرك فى  
مكانه ، وانما ظل واقفا هنالك وقد أمسك قبعته فى  
يده . وتخلصت النساء من التوتر العصبى وبدأت  
الضحكات تظهر من وقت لآخر . وبعدئذ ساد الصمت  
المطبق التام حيث راح الجميع ينظرون ما سيسفر  
عنه الموقف .

وأخيرا دقت ساعة الكنيسة معلنة الساعة الثانية  
عشرة باننتى عشرة ضربة ثقيلة . وهنا اختفى الكاهن  
وكاتبه ولم يكن الرقيب قد استدار بوجهه بعد .  
وظلت كل امرأة بالكنيسة منتظرة لكى تشاهد وجهه  
ويبدو أنه كان مدركا لذلك . فعندما استدار بالفعل .

وعندما وصل الى الطرف الشرقى من الكنيسة  
ظهر القسيس . فهمس فى أذن الجندى ، وبعدئذ  
أعطى إشارة لكاتبه الذى همس بدوره فى اذن امرأة  
كبيرة فى السن . ثم وقف الأشخاص الأربعة منتظرين  
سبينا ما .

**وصاحت بعض النساء** وقد ظهر عليهن قدر  
أكبر من البهجة والسرور : انه سوف يتزوج .  
فلننتظر !

وجلسن ينتظرن . وبعد لحظات دقت ساعة  
الحائط بالكنيسة معلنة الوقت ... كانت الساعة  
الحادية عشر والنصف .

**وهمس المصلون : أين المرأة ؟**

ووقف الرقيب الشاب ساكنا وصامتا دون  
حرك مثل الحوائط الموجودة فيما حوله . وازداد  
الصمت عمقا مع مرور الثواني والدقائق ، ولم يظهر  
أى شخص ولم يتحرك أى فرد . ودقت ساعة الحائط

سار في جراءة وشجاعة مخترقا الكنيسة وقد رم  
سفتيه تماما .

وبينما كان يعبر الساحة الخارجية للكنيسة  
تقابل مع امرأة شابة واقفة في وسط الساحة . كان  
وجهها يفيض بالقلق الشديد . ولكن ما أن وقع  
بصرها على وجهه حتى ظهرت تعبيرات الرعب على  
وجهها .

**فقال** وهو يحاول السيطرة على الغضب في  
داخله وينظر الى وجهها نظرات مباشرة : حسنا . . !!

- أوه . يا فرانك . لقد وقعت في غلطة .  
فقد اعتقدت أن تلك الكنيسة الأخرى هي كنيسة  
جميع القديسين . ووقفت عند باب تلك الكنيسة في  
تمام الساعة الحادية عشرة والنصف مثلما قلت .  
وظللت منتظرة حتى الساعة الثانية عشرة الا الربع  
وبعدئذ اكتشفت أنني موجودة في كنيسة جميع  
الأرواح . ولكنني لم أنزعج كثيرا حيث اعتقدت أنه  
باستطاعتنا أن نتزوج غدا بدلا من اليوم !

- أنت غبية وسخيفة لأنك خدعتني على ذلك  
النحو ! . . لا تتكلمي أي كلمة أخرى !

**فتساءلت في لهجة خاوية وقد شحبت وجهها :**

- هل يمكن أن تتم مراسم الزواج غدا يا فرانك؟

فاطلق ضحكة قاسية بصوت أجش **قائلا :**

غدا ! انني أوعدك بالأمر بهذه التجربة مرة أخرى  
لفترة طويلة !

**فقالت بصوت مرتعش :** ولكن على أية حال لم

تكن هذه الغلطة شنيعة للغاية . والآن يا حبيبي

فرانك متى سيتم عقد الزواج ؟

**فقال في مرارة :** آه متى ؟ الله وحده هو الذي

يعرف . .

ثم ابتعد عنها وشرق طريقه خارجا بسرعة .

المستحيل أن يوجد مثل هذا الجمال لفترة طويلة بدون أن يخلق قلائل بين الرجال تفوق القلائل التي أنارتها باتشيبيا .

وكان من رايه أن الطبيعة أو الفن لا يمكنهما أن يضيفا جمالا الى جمالها . وبدأ قلبه يدق في مزيج من السرعة . فسأل جارا بصوت منخفض : هل تعتبر الأنسة افردين جميلة المنظر ؟

— أوه . بالطبع انها جميلة للغاية حقا !

ان الرجل لا يرتاب مطلقا في الآراء المؤيدة المتعلقة بجمال المرأة التي يحبها . ومجرد كلمة يقولها طفل تكون لها نفس أهمية آراء الفنان . وشعر بولدوود بالارتياح والرضا آنئذ . فهذه المرأة الساحرة الجمال قد قالت له بطريقة غير مباشرة « تزوجني ! » . ولماذا أقدمت هي على هذا التصرف الغريب ؟ لقد كانت في تلك اللحظة تتعامل في برود وهدوء مع فلاح شباب مرح فدبت الغيرة الشديدة في دماغ بولدوود وأراد أن يدفع نفسه

## الفصل السادس عشر

وفي يوم السبت عقب عيد القديس فانتين ، كان بولدوود في سوق الغلال في كاستر بروج كالمعتاد عندما دخلت الانسانة التي تعكر عليه صفو أحلامه . فتشجع ونظر اليها لأول مرة في حياته . فشاهد من منظور جانبي شعرها الأسود ، ومنعطقات وجهها السليمة ، وردهوش عينيها وشكل أذنها . وبعدئذ شاهد قوامها ورداءها بل وشاهد جذاءها . واعتقد أنها جذابة وجميلة . ولكنه سأل نفسه في تعجب : ترى هل هو على حق في رايه ؟ اذ بدا له أنه من

يحاول بولدوود التحدث إليها ، كان ذلك في مساء يوم من أيام الربيع الدافئة ، وفي الاستطبلات الواقعة خلف منزله كان هناك ستة من الخيول تستمتع بالدفء وتتناول طعامها من العلف والأعشاب . وكان بولدوود نفسه يسير جيئة وذهابا خلفها مثلما كان يفعل عادة في المساء الى أن تنهمر أشعة القمر داخلة الى الاستطبلات من خلال النوافذ المليئة بالتراب ، او الى أن يغلف الظلام كل شيء . ووصل آنشد الى باب الاستطبل وراح ينظر للخارج عبر الحقول ، فالى ما وراء الحقول الأول كان يوجد سور ، وعلى الجانب الآخر من السور كانت توجد الأراضي والحقول الخاصة بباتشيبيا . وكانت أغنامها تستمتع بتناول العشب الصغير قبل تخصيص الحقول من أجل الأعشاب الجافة . وشاهد بين الأغنام ثلاثة هياكل : باتشيبيا وجبريل أوك وكين بول الصغير . كان ثلاثهم منهكين مع نعجة فقدت حملها ، حيث كانوا يحاولون اقناعها بتبني حمل صغير آخر . اذ كان جبريل قد قام بسلخ الحمل الميت . وكان يحاول

للدخول في الحديث معها . ولا يمكن أن يتم ذلك الا اذا طلب منها أن تريح عينه من قمحها وهو لا يجوز على تنفيذ ذلك فهو اذا سأل كل هذا الجمال عن البيع أو الشراء سيكون قد تسبب في اهانتته والتقليل من شأنه .

وطوال ذلك الوقت كانت باتشيبيا تدرك أنها قد تمكنت من اختراق وقاره أخيرا . اذ كانت تدرك أن عينيه تتبعانها في كل مكان . وكان ذلك في حد ذاته انتصارا عظيما لها . ولكنه كان سيصبح انتصارا أعظم ما لم تلجأ الى الخداع . وكانت تشعر بالأسف العميق لأنها قد تسببت بتصرفاتها غير الحكيمة في تحطيم السلام والهدوء الذي كان يعيش فيه رجل تكن له كل الاحترام والتقدير . وكانت على وشك أن تطلب منه الصفح والغفران عندما تقابلا في المرة التالية ولكنها خشيت أن يتسبب ذلك في زيادة الطين بلة .

ولذلك لم تقل شيئا . ومر شهران قبل أن

## الفصل السابع عشر

وفي نهاية شهر مايو ، قرر أخيرا أنه لم يعد بإمكانه الانتظار لفترة أطول في ارتياب وشكوك . فذهب الى منزلها فقيل له أنها ذهبت الى المغسل الذي يتم فيه غسل الأغنام . فذهب الى هناك ووجدها .

وكانت بركة غسل الأغنام بمثابة حوض دائري مبني بالطوب وعلين بالمياه الصافية النقية القادمة من مجرى مائي يخترقها متجهسا نحو النهر . كان الراعي أوك ومساعدوه مجتمعين هنالك وقد تبللت ملابسهم تماما . وكانت باتشيبيا واقفة بجوار

وضع ذلك الجلد على جسد الحمل الحي ، وكانت باتشيبيا ممسكة بباب حظيرة سياجية صغيرة مفتوحا لكي يبقى فيها الحمل الصغير والنعجة الى أن تتقبل النعجة الحمل الصغير .

وما أن شاهد بولدوود باتشيبيا حتى اتقدت عيناه وتغير وجهه . اذ لم يعد بإمكانه اخفاء مشاعره خلف الوقار والرزانة وعيط عليه احساس مخيف بأن مشاعره قد كشفت عن السر . وأخيرا اتخذ قرارا : ينبغي أن يذهب اليها ويسألها في شجاعة عن كارت عيد القديس .

وعندما اقترب نظرت باتشيبيا اليه . وأدرك جبريل أن وجهها قد احمر بسبب الخجل أو الاضطراب ، وتذكر الظروف الذي عرضه بولدوود عليه . واستبعد أن تستمر في تأدية هذه اللعبة النسائية التي بدأت بكارت عيد القديسين . ولكن ما أن أدرك بولدوود أنهم قد انتهوا الى اقترابه منهم ، حتى دب الخجل في كيانه فجأة فاستدار عائدا من حيث جاء . . .

انتظاره فانها استمرت في مواصلة السير ببطء بين  
الأعشاب الطويلة بجوار شاطئ النهر .

ولكن بولدوود قد بدا عليه التصميم في هذه  
المرّة لانه راح يستحث الخطى الى أن أصبحا عند  
منعطف النهر . فهنا كان باستطاعتها سماع اصوات  
الناس القائمين على غسل الأغنام وبدون أن  
يراهما أحد .

**قال المزراع :** يا آنسة افردين !

**فارتعدت والتفتت وقالت :** صباح الخير !

كان صوته مختلفا للغاية عما كانت تتوقع ،  
اذ كان منخفضا وهادئا ومليناً بالمعاني العميقة .

**وقال في بساطة ووقار :** ان مشاعري الفياضة  
تحرك تحول دون ترتيب أفكارى . وحياتي قد تغيرت  
تماما منذ أن رأيتك في وضوح يا آنسة افردين .  
وأنا قد جئت اليك الآن لأعرض عليك الزواج . . . !

ولم ترد عليه باتشيبيا فاستمر بولدوود في

بعيداً عن الناس - ١٢٧

حصانها وقد ارتدت أفضل ثياب الخيالة لديها .  
وكانت الأغنام المستسلمة تدفع الى البركة من الجزء  
الأسفل بواسطة جان جوجان وماتيو مون ، وبعدها  
يدفعها جبرييل لأسفل مستخدماً عصا خاصة أثناء  
عومها . وكانت تدفع للخروج من الماء عند الطرف  
العلوي للبركة وضد التيار ، لكي تنساب منها جميع  
الأوساخ . وكان يساعدها على الخروج من الماء كيت  
وجوزيف بوجتراس اللذان كانا مبلين أكثر من  
الآخرين .

وتقدم بولدوود نحو باتشيبيا وألقى عليها تحية  
الصباح في هدوء شديد حتى أنها اعتقدت أنه قد  
جاء لمشاهدة عملية غسل الأغنام لا أكثر ولا أقل .  
فانسلت باتشيبيا بعيداً وهي تقود حصانها في هدوء  
بجوار النهر . وسرعان ما سمعت وقع أقدام فوق  
العشب خلفها وأردت أن مشاعر الحب بدأت تطوقها  
من جميع الجوانب مثل العطور العذبة الذكيّة  
الرائحة . وبدلاً من الالتفات وراها أو التوقف في

في هذا الموضوع لو لم يكن لدى الأمل المشرق الذي  
سرت وراءه !

**فقلت في همس : تلك البطاقة .. بطاقة  
عبد القديس فالنتين .. مرة أخرى ! أوه ! تلك  
البطاقة .. ثم استطردت بصوت مسموع : يا مستر  
بولدوود أنت رجل مبجل للغاية بالنسبة لي وعلى نحو  
يجعلني غير ملائمة لك . وأنا أدرك أنه ما كان ينبغي  
عليّ مطلقاً أن أرسل لك تلك البطاقة . سامحني  
يا سيدي .. فقد تصرفت بغباء وهو تصرف لا تقدم  
عليه أية امرأة تحترم نفسها . فإذا غفرت لي هذا  
الطيش الذي وقعت فيه فاني أعذك ألا أقدم على  
لاطلاق على .....**

- لا . لا . لا تذكرى كلمة الطيش . دعيني  
أعتقد أن القدر عو الذي دفعك الى ارسال تلك البطاقة  
الى وأخشى أن يكون عمري كبيراً بالنسبة لعمرك .  
ولكنني سأعتني بك أكثر من أي شباب صغير .  
ولسوف تحصلين على أي شيء تريدينه ، ولسوف

**التكلم : عمري الآن ٤١ عاماً . وطوال سنوات حياتي  
لم أفكر في الزواج . ولكننا جميعاً نتغير .. والتغير  
الذي حدث لي قد جاء مع مشاهدتي لك . وأنا أريدك  
زوجة لي بغض النظر عن جميع الظروف والأحوال !**

**فردت في غير ثبات : يا مستر بولدوود رغم  
أنني أحترمك كل الاحترام .. الا أنني أشعر أنني  
لا أستطيع تماماً قبول العرض الذي تقدمت به !**

ويبدو أن هذا الرفض الجليل للعرض الجليل  
الذي تقدم به قد أطلق فيضاً من المشاعر كان محتجزاً  
ومختزناً في داخل وجدانه حيث قال بصوت  
**منخفض : ان حياتي بدونك أصبحت لا معنى لها .  
باستطاعتك أن تحبيني قولي لي ذلك يا آنسة  
افردين . أقولها مرات ومرات عديدة ، وإذا كان  
باستطاعتك أن تحبيني ، قولي لي ذلك يا آنسة  
افردين . ولكن إذا لم يكن بمقدورك أن تحبيني  
فلا ترفضى طلبى . فانا أريدك . وأنا لم أكن لأنكلم**



نعم . سأعطيك أية فترة زمنية تريدينها . انى الآن  
أشعر بمزيد من السعادة . ولسوف أنتظر .

وبعد أن غادرت باتشيبيا المكان ظل هو واقفا  
هنالك محملا في الأرض ، مثل رجل لا يعرف طبيعة  
المكان الذي يوجد فيه . وبعدئذ هبط عليه الإدراك  
والتحقق مثل آلام الجرح التي لم يشعر بها الانسان  
أثناء الانخراط في القتال المحتدم . فغادر المكان  
هو الآخر .

تعيشين في راحة تامة وهناء تام . ان الله وحده هو  
الذي يعرف كم أنت عزيزة على !

كان قلب باتشيبيا قليل الخبرة فماج بالتعاطف  
مع هذا الرجل الذي كانت لديه كل هذه المشاعر  
العميقة ، والذي كان يتحدث بكل هذه البساطة .  
**فصاحت :** لا تقل هذا . . لا تقل ! فانا لا أتحصل  
هذا ! وأخشى أن ينتبه الرجال الى وجودنا هنا  
سويا يا مستر بولدوود . هل يمكنك أن تؤجل  
الكلام في هذا الموضوع الآن ؟ فانا لا أستطيع التفكير  
جيذا وبوضوح الآن . أوه كم أنا مزعجة للغاية لأننى  
قد جعلتك تقاسى وتعانى على هذا النحو !!

- اذن قولى لى الآن أنك لا ترفضين على الاطلاق .  
واسمحي لى أن أحضر لزيارتك مرة أخرى غدا .

- لا . من فضلك . اعطنى بعض الوقت . اذ  
ينبغى على أن أفكر جيذا فى هذا الأمر !

فقال فى حماس واهتمام وامتنان : نعم .

والتلاشي التدريجي . ومع ذلك فهي كانت تشعر  
بعقدة الذنب لأنها هي التي أرسلت البطاقة ، وبالتالي  
فإنها ينبغي عليها أن تتقبل النتائج المترتبة على ذلك  
بكل أمانة وصدق .

وفي اليوم التالي وجدت جبريل أوك في أعماق  
حديقها حيث كان يشحن ويسن مقصسه الكبير ،  
بينما كان كين بول يدير مقبض حجر المسن .  
فراحت ترقبهما للحظات في صمت ثم قالت : يا كين  
اذهب الى الحقل القريب من النهر وأمسك بحصاني  
ولسوف أقوم أنا بإدارة المقبض نيابة عنك . أريد  
أن أتحدث معك يا جبريل !

وبعد أن أدارت المقبض حوالي ٢٤ أو ٣٦ مرة  
توقفت وقالت : أود أن أسألك عما إذا كان الرجال  
قد علقوا أية تعليقات بشأن ذهابي خلف العشب  
الطويل مع المستر بولدوود بالأمس .  
وعندما أوما جبريل برأسه استطردت قائلة :  
ماذا قالوا ؟

## الفصل الثامن عشر

ونظرا لأن باتشيبا لم تكن واقعة في حبه على  
الإطلاق ، فقد راحت تدرس في هدوء العرض المقدم  
منه للزواج بها . كانت جميع وجهات النظر تشير الى  
أنه ينبغي عليهما من حيث هي فتاة تشعر بوطأة  
الوحدة القاسية والعزلة العاطفية أن تتزوج هذا الرجل  
الجاد الغني المحترم . وهي اذا كانت قد شعرت بأية  
رغبة في الزواج فليس هناك أي ميرر يدعوها لرفض  
الزواج منه . الا أن وضعها من حيث هي مستولة  
تماما عن مزرعة ومنزل ، كان أمرا غير طبيعي وغير  
عادي وكان أمرا جديدا! ولم يبدأ بعد في الخبو

غير ثقة : كل ما أريده منك أن تقول لهم أنه ليس صحيحا أننى سأتزوج منه !

- باستطاعتي أن أقول لهم ذلك يا آنسة  
افردين اذا كنت ترغبتين فى ذلك . وباستطاعتي أيضا  
أن أقول لك رأى الشخصى فى التصرف الذى أقدمت  
عليه .

- لا أريد أن اسمع منك رأيك الشخصى !

وبعد لحظات شعرت بالأسف والأسى على هذا  
الرد الجاف . فقد كان جيرييل هو الشخص الوحيد  
فى الأبرشية الذى تحترم رأيه . ورغم أنها كانت  
تعرف مدى حساسية الموضوع بالنسبة له ، وهى  
ما يسببه له هذا الموضوع من آلام . **الا أنها سألته فى  
ههوى : حسنا ، ما هو رأيك فى تصرفاتى ؟**

- تصرفاتك غير سليمة ولا تتلاءم مع امرأة  
عميقة التفكير ولطيفة وجميلة وجذابة مثلك !

وفى لحظة تصاعدت مشاعر الغضب فى داخل

- لقد قالوا عنك إنك ستتزوجين على ما يبدو  
قبل نهاية السنة !

- أريد منك أن تقول لهم اننى لا أوافق على  
سماع أى تعليق آخر سخيف منهم . من المؤكد أنهم  
قد سمعوا الحوار الذى دار بينى وبينه .

**فقال جيرييل وهو ينظر إليها فى دهشة :**

**حسنا يا باتشيبيا !**

**فقالت فى وفار : الآنسة افردين من فضلك !**

- أقصد هذا : اذا كان المستر بولدوود قد  
تحدث معك بالفعل عن الزواج فاننى سأكذب عليهم  
وأقول لهم أنه لم يتقدم للزواج منك ، اذا كان هذا  
يدخل السرور على نفسك . فانا أحاول دائما أن  
أجعلك مسرورة وسعيدة للغاية وقد عانيت من أجل  
ذلك كثيرا !

ف نظرت باتشيبيا إليه فى دهشة وتمتمت فى

كانت باتشيبيا على استعداد لتقبل تأنيب جبريل لو أنه ادعى أنه يشعر نحوها بالحب . في نفس الوقت . كان هذا هو ما توقعته وما لم تحصل عليه . ولم يكن قد انتهى من كلامه . **إذا استطرده بصوت مرتفع :** ومن رأى أن اللوم الشديد يقع عليك لأنك قد قمت بالحيل الخادعة ، ونصبت الشراك لرجل مثل المستر بولدوود لمجرد التسلية والعبث . فليس من قبيل الشرف أن تثيرى الحب في رجل لا تشعرين نحوه بالحب !

**فحولت باتشيبيا . وصاحت :** لا أسمع لأى رجل أن ينتقد حياتى الخاصة . من فضلك غادر هذه المزرعة فى نهاية هذا الأسبوع !

**فقال جبريل فى هدوء :** حسنا للغاية !

لقد كان مرتبطا بها من خلال خيط جميل لا يرغب فى قطعه وليس من خلال قيود حديدية يتعذر عليه فكها وتحطيمها . **فأضاف قائلا :** من الأفضل لى أن أذهب الآن فورا لو سمحت !

باتشيبيا وتدفت السماء الحمراء الى وجهها . **وردت عليه :** ورأى فيك أنك سبىء للغاية ، حتى أننى كنت أتوقع أن تصدر عنك هذه الإهانات عندما يتمدحنى أى جنثمان .

كان من الواضح أن باتشيبيا قد فقدت صوابها واتزانها ولكن جبريل التزم بضبط النفس ولم يرد عليها . **وبعد ذلك انفجرت باتشيبيا بصوت مرتفع :** أود أن أسالك : أين هى أخطائى ؟ هل أخطائى تكمن فى أننى غير متزوجة منك ؟

**فقال جبريل فى هدوء :** لا بالتأكيد . فانا قد توقفت على التفكير فى ذلك منذ فترة بعيدة !

**فتساءلت :** ولا ترغب فى ذلك الأمر أيضا ؟

وكانت تتوقع منه أن يرد عليها بالرفض الشديد . ومهما كانت مشاعر جبريل الحقيقية فانه **رد عليها فى برود مستخدما نفس كلماتها :** ولا أرغب فى ذلك الأمر أيضا !

## الفصل التاسع عشر

وبعد مرور أربعة وعشرين ساعة على ترك جرييل أوك للقطيع التابع لباتشيبيا ، حتى جاء بعض الرجال بعد ظهر أحد أيام الأحد يهرولون في اضطراب نحو المنزل . فتساءلت باتشيبيا وهي تقابلهم عند الباب لدى خروجها للذهاب للكنيسة : ماذا في الأمر ؟

فقال هنري فراي : لقد كسرت مجموعة من أغنامك السور .

فقال والشرر يتطاير من عينيها أثناء نظرها الى عينية ولكن دون أن تتلاقى عيناها مع عينية : اذهب الآن على الفور بحق السماء !

واضافت : ولا تدعني ارى وجهك مرة أخرى - حسنا يا آنسة افردين . لن تشاهديني مرة أخرى !

ثم أخذ القص وسار مبتعدا عنها في وقار وهدوء . . .

ظهرها ، وتنفس بانفاس قصيرة وسريعة بعد أن امتلأت أمعاؤها ومعداتها بالغازات وانتفخ بطنها .

**فصاحت باتشمسبيا في ياس : أوه . ماذا سأفعل ؟**

**فقال لبيان :** هناك طريقة واحدة لانقاذها . ينبغي عمل فتحة في أجنابها بألة معينة . ولكن هذه الفتحة يجب أن تتم في المكان الصحيح . فإذا تمت الفتحة بانحراف قليل إلى اليمين أو إلى اليسار ولو لبوصة واحدة تموت الأغنام !

**وقال جوزيف بورجراس :** والرجل الوحيد في هذه المنطقة الذي يستطيع القيام بهذا العمل بنجاح هو

**فقالت باتشمسبيا :** من هو ؟ فلنحضره فوراً !  
- « انه جبريل أوك » .

**فصاحت :** كيف تجرؤ على ذكر اسم هذا الرجل أهاى !

**وقال لبيان تول :** ودخلت في حقل مزروع بنبات ضار يشبه البرسيم . .

**وقال هنرى :** فتورمت أجسادها !

**وقال لبيان :** ولسوف تموت كلها إذا لم يتم إخراجها من هذا الحقل وعلاجها !

فصاحت سيدتهم وهي تسقط من يدها قفازها وكتاب الصلاة الخاص بها ، وتهرول نحو الحقل المزروع بهذا النبات الضار : كفى أيها الأغبياء !

**واستطردت :** ولماذا جئتم إلى ؟ كان ينبغي بدلا من ذلك أن تبادروا إلى إخراج الأغنام من هذا الحقل !

وهرولوا وراءها وتشجعوا بوجودها معهم وتناثروا بين الأغنام ، حيث كان معظمها مستلقيا على الأرض في هبوط وتخاذل . وتم رفع تلك الأغنام التي لا تقوى على المسير ، وحملها إلى خارج الحقل . أما الباقى فقد سبق للخروج ، ولكنها ما أن دخلت في نطاق الحقل التالى حتى راحت تتدهرج على

- امتط حصاني واذهب الى هناك . وقل له  
انه ينبغي عليه العودة الينا في الحال . . . وأنى أقول  
له ذلك ؟

فأسرع ليبان وامتطى ظهر الحصان بدون أن  
يضع سرجا على ظهره وانطلق في اتجاه التل ومنه  
الى الكوبرى ومنه الى التل المقابل ومنه الى الكوخ  
الأبيض الصغير . وراحت باتشيبيا ترقب الموقف .  
وكانت تأمل أن يكون لديه الإدراك السليم والذكاء  
الكافي بحيث يعطى الحصان لجبرييل ويعود هو سيرا  
على الأقدام . ولكنها عندما شاهدت الحصان يعود  
اليها أدركت أن الراكب قوقه هو ليبان .

وتساءلت عندما توقف عندها وهبط نازلا من  
فوق ظهر الحصان : حسنا ؟ ماذا فعلت ؟

فقال ليبان : انه يقول لن يحضر اليك الا اذا  
طلبت منه ذلك في ادب مثل أية امرأة تطلب مثل هذا  
الامر ، وتتوسل لكى يقدم لها معروفا !

واستطردت : حسنا . لا تقفوا هنا . اذهبوا  
واحضروا شخصا ما لمعالجة الإغنام على الفور !

وما أن خرجوا من البوابة حتى أصافت قائلة  
لنفسها : لن أطلب منه الحضور مطلقا !

وبعدئذ قامت احدى النعاج بتقليص عضلاتها  
على نحو مريع ، ثم مدت نفسها وقفزت لأعلى في  
الهواء . ثم هبطت في ثقل فوق الأرض ساكنة دون  
حرك . فذهبت باتشيبيا اليها . وأدركت أنها قد  
ماتت .

فصاحت باتشيبيا مرة أخرى : أوه . ماذا عساي  
أن أفعل ؟ لن أرسل في طلب جبرييل أوك على  
الإطلاق !

ولكنها كانت تدرك بينها وبين نفسها أنه ينبغي  
عليها أن تستدعيه . فسارت وراء رجالها عبر البوابة  
ونادت على ليبان وسألته : أين يقيم أوك ؟

- عبر الوادى . عند كوخ نيست .

ولكنها أسرعت عائدة الى منزلها وكتبت رسالة مؤدبة وأضافت فى نهاية الرسالة عبارة « لا تتركنى هكذا يا جبرييل فانا الآن لا حول لى ولا قوة ومغلوبة على أمرى وعاجزة عن عمل أى شئ » ! .. وكان وجهها مبتغما باللون الأحمر وهى تناول الرسالة للبيان .

ومرت ربع ساعة من القلق الشديد قبل أن يحضر جبرييل أوك . وقالت : أوه يا جبرييل . كيف تعاملنى على هذا النحو فى غير شفقة ؟ .. ولكن نظرة الشكر والامتنان فى عينيها كانت تبيح بكلام آخر . فتمتم بكلام مضطرب وأسرع متجاوزا المكان الذى تقف فيه وأدركت هى أن هناك عبارة محددة فى رسالتها وأن هذه العبارة هى التى دفعته للمجئى ،  
الها .

وما أن وصل جبرييل الى الحقل حتى خنع معطنه والقاه بعيدا بسرعة وأخرج من جيبه آلة صغيرة : عبارة عن أنبوبة صغيرة فى داخلها ابرة صغيرة . وراح يستخدم تلك الآلة مثل طبيب ماهر ،

**فصاحت : ماذا ! هل أنا أعامل على هذا النحو ؟**  
هل أتوسل الى رجل كان يستجدينى من قبل ؟  
وقفزت نعجة أخرى فى الهواء وسقطت على الأرض مبتة . وبدأ على الرجسالى الوقار الحزين .  
وبدوا كما لو كانوا يريدون الرد على تساؤلها ولكنهم لم يتكلموا .

واستدارت بإتشيبيا وقد امتلات عيناهما بالدموع . ولم تستطع اخفاء المتاعب التى وقعت فيها ، فانفجرت فى البكاء بصوت مرتفع من خلال غرورها وحدة طبعها .

**فقال وليام سمولبرى فى تعاطف : لا داعى للبكاء ، يا آنسة . لماذا لاتطلبين منه الحضور بلهجة تنسم بالمزيد من الذوق ؟ .. فانا متأكد أنه سيحضر اذا فعلت ذلك !**

فتوقفت بإتشيبيا عن البكاء وجففت دموعها .  
وتمتمت : أوه . انها لقسوة خسيمة ! »



حيث كان يحدث تقبا في معدة كل نعجة ليتيح الفرصة  
للفازات لكي تتسرب .

وعندما انتهى من مهمته حضرت اليه ونظرت  
بتمعن في وجهه وقالت وهي تبسّم ابتسامة عذبة  
وبدون أن تغلق شفثيها ، لأن ابتسامة أخرى كانت  
آتية في الطريق : يا جبرييل هل ستعود الى وتقيم  
معى هنا ؟

فقال جبرييل : سأفعل ذلك بكل تأكيد !  
فابتسمت في وجهه مرة أخرى .

## الفصل العشرون

كان اليوم الأول من شهر يونيو هو أكثر الأيام  
ازدحاما بالعمل بالنسبة لجميع أيام الراضى الأخرى  
فى خلال السنة . . . فهو اليوم الذى يتم فيه جز  
أغنماه وجمع محصول الصوف . وكان الجز يتم فى  
الحظيرة . وهى مبنى حجرى ضخّم شيد منذ أربعة  
قرون بتصميم يشبه شكل الكنيسة القديمة ، وهو  
مبنى متين وقوى مثل القلعة . وكانت أبوابها المقوسة  
الهائلة ، مفتوحة على مصراعها للسماح لدخول ضوء  
الشمس اللازم لعمليات جز الصوف .

وبعدئذ دخلت الى منزلها ثم خرجت بعد ربع ساعة وقد ارتدت الملابس الجديدة التي ترتديها عند امتطاء حصانها . وأحضر لها روب كوجان الصغير حصانها ورقعها بولدوود برفق لكي تجلس فوق السرج .

**وقالت لجبرييل :** اننى ذاهبة لمشاهدة قطع الأغنام الجديدة الخاصة بالمستر بولدوود . خذ مكاني فى الحظيرة ، واشرف على الرجال لكي يؤدوا عملهم على خير وجه .

ثم انطلقت هى وبولدوود كل على حصانه .

**وقال أحد الأشخاص الذين يقومون بعملية جز الصوف :** ذلك معناه الزواج ! .. فوافق جان كوجان على هذا القول . كما أيد ذلك ليبان تول ، وأضاف هنرى فرأى قائلا : ربمسا قد حان الوقت الملائم لزواجهما .. وأعتقد أنه قد قام بتقبيلها عندما كانا متواريين خلف العشب الطويل عند مفصل الأغنام منذ أيام !

وكانت باتشيبيا ترقب فى حرص وعناية رجائها لتتأكد من أنهم يقومون بالجز بطريقة سليمة لا يشوبها أى إهمال . وما أن يتم الانتهاء من جز النعجة او الخروف ، حتى تقف هنالك فى عصبية وخجل بسبب فقدانها للصوف الذى كان يكسو جسدها . وهنا يبادر كين بول بالجرى نحوها ليطلع على جلدها المجزوز حرفين هما : « ١٠ » .

وبينما كان جبرييل منهمكا فى جز الأغنام جاءت اليه باتشيبيا ووقفت الى جواره وهناته على سرعته واتقانه فى انجاز هذا العمل .

الا أن القدر كان له بالمرصاد . كان مصرا على افساد جو السعادة الذى يكتنفه . اذ حضر بولدوود وبدأ يتكلم مع باتشيبيا بصوت منخفض . وخرجا سويا الى ضوء الشمس الساطعة ، وهما مازالا يتجادبان أطراف الحديث . هل كان الكلام منصبا على أغناهما ؟ بالطبع لا . إذ كانت عيناهما تنظران فى تواضع نحو الأرض وكانت اللدما تتدافع الى وجهها .

استمر جبريل في أعمال جز الصوف في صمت .  
ولاحث بذهنه أفكار مزججة . فأنشأت القلق والازعاج .  
في كيانه الهادئ . لقد صدرت عن بانثيبيا بعض  
الدلائل التي تشير الى انها قد جعلته مديرا للمزرعة .  
وهي وظيفة كانت المزرعة في أشد الحاجة اليها .  
الا أن فهمه لها في تلك الآونة كان مشوبا بالتعقيم  
والضباب وعدم اليقين . فهي من المؤكد كانت تخدعه  
عندما تظاهرت أمامه بأنها ليس لديها أدنى اهتمام  
بالمستر بولدوود . وبدأ يشعر مثل باقى زملائه  
الذين يقومون بجز الصوف أن ذلك اليوم سيشهد  
الموافقة على بولدوود كزوج لبانثيبيا مستقبلا .

وقال كين بول مبعدا أفكار جبريل الى اتجاه  
آخر جديد : نحن العمال سنستمتع بوليمة عظيمة في  
هذه الليلة . فلقد شاهدتهم يعدون الأطعمة في  
المطبخ هذا الصباح يا مستر أوك !

فقال جوزيف بورجراس وهو يبلل شفثيه  
بلسانه لدى رسوخ هذه الفكرة في ذهنه : حسنا . .

**فقال جبريل : يالها من كاذبة !**

**وتساءل هنرى في رفق : أوه . جبريل أوك .**  
كيف لك أن تعرف ؟

**فقال جبريل في عدم زرياح : لانها قصت على**  
كل ما حدث !

**فقال هنرى في شيء من الضيق : لك الحق في**  
ان تصدقها . ولكنى أستطيع أن أستشف الأور .  
فأى شخص يمكنه أن يكون ماهرا بحيث يصبح  
مديرا لمزرعة ولكن ذهنى له أعماقه الخاصة . هل  
تفهموننى يا جيرانى ؟ اننى قد استغفل راعى غنم معنا  
ولكن لا . أوه - لا !

**ولكن ماريان العجوز تدخل ليلطف الجو :**  
هل سمع أحدكم عن رجل له ساق واحدة ليحل محل  
في العمل ؟ . . فانا لا أتوقع أن أحصل على ساق  
ممتازة في أى وقت من أوقات حياتى !

وبينما كان جان كوجان يرد بإجابة ملائمة

سوف أستمتع بهذه الوليمة . فالطعام والشراب من الأمور الممتعة للإنسان بل وبعضان الشجاعة للجنين، وبينان الثقة في الجسد وبدونهما نهلك ونموت !

وتم اعداد مائدة لطعام العشاء طويلة وممتدة فوق المروج الخضراء بجوار المنزل . وكان أحد طرفيها يخترق النافذة الى داخل غرفة الطعام حتى تتمكن باتشيبيا من الجلوس على رأس المائدة بدون الاختلاط مع الرجال . وكانت هي في ذلك المساء مضطربة على نحو غير عادي . اذ بدا عليها كأنها تنتظر شخصا ما وقد تم ترك المقعد الموجود عند الطرف الآخر شاغرا بناء على طلبها الى أن بدأ وضع الطعام أمام الناس .

وبعدئذ طلبت من جبرييل الجلوس في ذلك المقعد . ففعل ذلك في اهتمام . ولكن بولدوود وصل في تلك اللحظة واعتذر لباتشيبيا عن تأخره في الحضور .

فقالت باتشيبيا : لو سمحت يا جبرييل انتقل من مكانك لكي يجلس فيه المستر بولدوود !

فترك جبرييل ذلك المقعد في صمت واتجه الى مقعده الأصلي .

كان المستر بولدوود مرتديا معطفا جديدا وصديريا جديدا تشع منها البهجة وذلك بعكس ملبسه المعتادة الوقورة التي تسيل الى اللون الرمادي . كما كان مبتهجا في تصرفاته وكلامه . وكذلك كانت باتشيبيا مبتهجة بعد أن حضر بالفعل الى الوليمة .

وبعد أن انتهى الناس من تناول طعام العشاء ترنم جان كوجان بأغنية وتم حث جوزيف بورجراس على التغنى بأغنية أخرى . ففعل ذلك على الرغم منه . وغابت الشمس وراء الأفق في ضباب برتقالي اللون بينما كانوا هم مازالوا جالسين حيث كانوا يتحدثون في مرح مثل آلهة الاغريق القدامى في سمائهم .

وأحضرت ليدي الشموع الى الغرفة التي كانت تجلس فيها باتشيبيا ولاحظ جبرييل أن بولدوود قد

وكانت تقول له بصوت مرتعش وبدون أن تظهر في صوتها تلك الثقة المعهودة بالنفس : لسوف أحاول أن أحبك . وإذا تكنت من الاقتناع بأننى سأصبح زوجة ممتازة ، فسوف تتولد لدى الرغبة فى الزواج منك . وأنا لا أريد الآن أن أعدك بالزواج فى هذه الليلة . . . ولكنى أمل أن أتمكن من الوعد بأن أصبح زوجة لك بعد مرور ستة أسابيع . . . ولكن يجب أن تتذكر الآن بوضوح أننى لم أعدك حتى الآن بأننى سأتزوجك !

**فقال المستر بوندوود :** يكفى هذا ولن أطلب منك أكثر من هذا القول المطمئن . باستطاعتى انتظار سماع تلك الكلمات العزيزة . . . والآن يا آنسة افردين طابت ليلتك !

ثم غادر المكان وهو يتتسم فى ارتياح وسعادة . لقد تعرفت باتشيبيا على الكثير من جوانب شخصيته . فقد أفضى بسريرة نفسه لها الى أن أصبح شبيبها بطائر عظيم بدون الريش الذى جعله عظيما .

دخل الى الغرفة وجلس بالقرب من باتشيبيا . وبعدئذ جاء التساؤل : هل ستغنى لهم الأنسة افردين قبل أن ينصرفوا الى منازلهم ؟ وبعد أن تدبرت باتشيبيا الامر للحظات واقفت على أن تغنى لهم . ثم وقفت فى مواجهة الرجال بينما الشموع تتراقص خلفها .

وكان غناؤها رقيقا وضعيفا وعصيبا بعض الشيء فى بادئ الامر الا أن صوتها ازداد وضوحا وثباتا تدريجيا . وقد تسببت الأحداث الأخيرة فى أن جعلت أولئك الذين تجمعوا هناك يتذكرون أحد أبيات تلك الأغنية . إذ كان ذلك البيت يتحدث عن جندى تسبب كلامه الجميل المعسول فى اقناع سيدة مرحة بأن تكون زوجة له .

وبعدئذ تمت باتشيبيا لهم ليلسة سعيدة وأغلق بولدوود النافذة وجذب الستائر . وبعد دقائق قليلة كان هناك مشهد حب رقيق مستترا وراء تلك الستائر . إذ كانت باتشيبيا واقفة خلف مقعد منخفض بينما كان بولدوود راكعا ، ومستنسادا على مسنده فى اتجاهها وممسكا بيدها بين يديه .

وبدأت نشعر أننا كأننا جريئة الى حد الوقاحة فى الأيام الماضية ، فسبب لنا هذا ما يشبه الصدمة النفسية وبدأت تناضل من أجل أن تضع الأمور فى نصابها، بدون أن تفكر فيما اذا كانت تستحق العقاب الذى كانت تفرضه على نفسها . ومع ذلك فهى فى هذا الموقف الرهيب قد بدا عليها كأنها تعثر على بهجة مخيفة !

## الفصل الحادى والعشرون

كان من بين الواجبات العديدة الملقاة على عاتق باتشيبيا وكذلك مدير المزرعة الخاص بها ، هو المرور حول مبانى المزرعة قبل الذهاب للنوم ، وذلك للتأكد من أن كل شىء على ما يرام . ولذلك كانت تحمل عادة فانوسا داكسا تستعين به فى فحص كل ركن مظلم ببرود رجل البوليس اللندنى . ولم تكن تتوقع اكتشاف أية أمور خطيرة تزيد عن مجرد دجاجة ضالة ، أو باب لم يتم غلقه بأحكام .

وفى هذه الليلة راحت تنحول حول المبانى كالمعتاد .

واقترب وقع الأقدام أكثر ، وبينما كان هيكلا ما يمر بجوارها تماما . أمسك شئ ما بجونلتها ودبس الجونلة بشدة في الأرض ففقدت باتشيبيا توازنها ولدى استعادتها لتوازنها ارتطمت بلباس دافئة بها مجموعة من الأزرار .

وجاء صوت رجل من على مسافة قدم أو نحو ذلك فوق رأسها :

- يا لها من مفاجأة ! هل تسببت في أيدانك أيها الصديق ؟

**فقالت باتشيبيا وهي تحاول جذب نفسها**

**بعيدا : لا !**

- أعتقد أننا قد تشابكنا سويا على نحو ما ؟

- نعم .

- هل أنت لمرأة ؟

- نعم

- أنا رجل

وكانت الاصوات الوحيدة التي تفلق سكون الليل هي التنفس العميق المنطلق من أنوف غير مرئية ، واجترار الطعام المنتظم في العديد من الأفواه . وكان خيالها يساعدها بصرها على التعرف في أماكن متفرقة على رأس بني اللون به عينان جاحظتان محبقتان . وفوق العينين يوجد قرنان يميلان للون الأبيض ولهما شكل قمرين حديدين .

وكانت في طريق عودتها للمنزل تسلك ممرًا يخترق غابة صغيرة كانت قد زرعت بالأشجار لحماية المزرعة من الرياح الشمالية . وقد نمت الأشجار بكثافة شديدة في تلك الغابة الصغيرة ، أن ضوء النهار لا يتفذ إلى داخلها ولو كان الوقت في منتصف النهار . وعندما تسللت في هدوء شديد للامام ، خيل إليها أنها تسمع وقع أقدام أمامها . أما أقدامها فكانت تخطو على الأرض في مثل خفة الثلج . فأغلقت فانوسها . وبعدئذ طمأننت نفسها وقالت لنفسها أن ذلك المرء يمر فيه جماهير الناس بالمنطقة ومن المحتمل أن يكون هناك قروي في طريق عودته إلى منزله .

**فقالت : « أوه » ثم ارحت تجذب نفسها فى رفق**  
مرة اخرى ولكن بدون جدوى .  
أحرر نفسى !

الا أن الشريط الحريرى كان ملفوفا حول المهماز  
بشمدة حتى أن الأمر لم يكن سهلا واصبح من المتوقع أن  
يستغرق بعض الوقت . فانحنى هو الآخر لأسفل .  
وسطع الفانوس الموجود على الأرض بينهما ملقيا بالضوء  
على وجهيهما . ونظر نظرة عميقة فى عينيهما عندما  
رفعت عينيهما لأعلى للحظات . ففضت البصر مرة أخرى  
ونظرت لأسفل ولكنها لاحظت أنه شاب صغير فى السن  
ويضع ثلاثة أشربة على ذراعه .

**وقال فى صراحة :** لقد أصبحت أسيرة يا آنسة .  
ينبغى على أن أمزق رداك اذا كنت تريدن التحرر  
بسرعة . ولكن لا داعى لتمزيق الرداء اذا انتظرت لحظات  
أخرى . .

ثم راح يفك الحيط الحريرى . واستمر فى الفك  
للحظات طويلة بدت كأنها لا نهاية لها .

**فقالت :** « أوه » ثم ارحت تجذب نفسها فى رفق  
مرة اخرى ولكن بدون جدوى .  
أذلك فانوس . . لو سمحت لى سأفتح الفانوس  
وأحررك .

وأمسكت يده الفانوس وفقرت أشعته من سجنها .  
واكتشفت بانثيبيا وضعيا وانتابتها الدمشة . فالرجل  
الذى تشابكت معه كان يرتدى زيا رسميا فأخرا من  
قياس أحمر ناصع وقطع نحاسية لامعة . لقد كان جنديا .  
وكان ظهوره الفجائى فى الظلام شبيها بصوت النغير  
الذى يدوى فى الصمت . وهى عندما توقعته ظهور هيكل  
ما مخيف بملابس سوداء كانت الحقيقة الواقعة أمرا غير  
ذلك . . إذ شاهدت شيئا جملا ساحرا .

واتضح على الفور أن مهماز الجندى قد تشابك  
مع الشريط الحريرى الذى كان يزين حافة جونلتها .  
ووقع بصره على وجهها **فقال فى مزيد من الأدب الجم** .  
سأحررك فى لحظات يا آنسة !



- لقد رأيت في حياتي العديد من النساء الجميلات  
ولكني لم أشاهد امرأة في مثل جمالك . ولا يهمني ان  
كان كلامي هذا سيسيء اليك أو سيدخضل السرور  
عليك .

.. من تكون أنت اذن ؟

- لست غريبا على هذا المكان ، فأنا الرقيب  
تروى . وأنا مقيم في هذا المكان . انظري ! لقد فككت  
العقدة أخيرا . فأصابعك اللطيفة كانت أكثر حماسا  
وتلهفا من أصابعي . كم كنت أتمنى أن تكون تلك العقدة  
هي رباط الزواج بيننا الذي لا يمكن فك قيوده على  
الاطلاق !

وأدى كلامه هذا الى ازدياد الأمور سوءا . فنهضت  
واقفة وانسلت مبتعدة عنه في حذر وقد أمسكت  
الغانوس في يدها . وعندما حياها قائلا لها « مع  
السلامة » لم ترد عليه وإنما استدارت وجرت بسرعة الى  
داخل منزلها .

وكانت ليدي قد ذهبت تورا الى فراشها . ففتحت

**فصاحت في ضيق : أوه . هذا أمر مخز ومخجل !**  
**واستطردت : لقد تعمدت تعقيد الأمور أكثر وأكثر لكي**  
**تبقى هنا في هذا المكان . انني أصر على أن أقوم**  
**بنفسي بك هذا التشابك . اسمح لي بذلك !**

- بالتأكيد يا آنسة . .

**ثم أضاف قائلا في تهيدة :**

- انني سعيد بهذا الحسن والجمال ، حتى عندما  
يلقى لي مثل العظمة التي تلقى للكلب !

وراحت باتشبيبا تفكر في جذب نفسها جذبة قوية  
لتحرير نفسها حتى ولو أدى هذا الى ترك جونلتها كلها  
وراءها . الا أن هذه الفكرة كانت مريمة للغاية . اذ  
كانت تلك الجونلة هي أفضل وأحسن الملابس الموجودة  
عندها وهي قد ارتدتها لكي تبدو جليلة ورائعة أثناء  
مأدبة العشاء .

واستمر الشاب يقول في تأمل وهو يرقب رأسها  
المنحنى لدى مناقشتها ومحاولاتها المضنية مع أشرطة  
الحرير المتشابكة :

- نعم \* ولقد برى تربية جيدة وتعلم فى مدرسة كاستربردج ودرس بها العديد من اللغات - الا أنه ضيع العديد من الفرص التى اتاحت له ثم التحق بالجيش ولكنه سرعان ما ترقى الى رتبة رقيب \* فدماؤه النبيلة سوف تتألق رغم وجسوده بين أوساط من الجنود العاديين \* هل عاد حقا الى منزله يا آنسة ؟

- اعتقد ذلك يا ليدى \* طابت ليلتك يا ليدى !

كيف يمكن لها أن نظل متضايقة منه \* فالفتيات من أمثال باتشيبا على استعداد لتحمل قدر كبير من التصرفات غير العادية إذا كن يردن أن يمتدحهن أحد أو يتسلط عليهن ويسيطر عليهن أحد \* وكان الشعور الأول هو الذى أثر عليها بالإضافة الى قدر ضئيل من الشعور الثانى \* كما أن الحقائق المتعلقة بالمولد النبيل لهذا الشاب الوسيم قد جعلته شيقا من وجهة نظرها \* وصاحت قائلة لنفسها وهى فى غرفتها الخاصة :

- يا له من أمر عجيب ! واننى لوقحة حقا لاننى اندفع هكذا مبتعدة عن رجل لا يتسم الا بالأدب والذوق

باتشيبا باب غرفة النوم وقالت : يا ليدى \* هل هناك أى جندى مقيم فى القرية \* جندى برتبة رقيب \* \* وهو جنتلمان بعض الشيء ووسيم الوجه ويرتدى معطفا أحمر اللون به كتار أزرق !؟

- لا يا آنسة \* ولكن ربما يكون الرقيب تروى قد جاء الى القرية هنا فى زيارة \* وسبق له أن جاء الى هنا من قبل عندما كان سلاح الفرسان الملكى متمركزا فى كاستربردج \*

- وما هى شخصية هذا الشاب ؟

- آوه يا آنسة اننى أخجل من التحدث عن شخصيته \* فهو رجل يميل الى المرح واللهو ! الا أنه ماهر وذكى وكان باستطاعته أن يجعل نفسه شخصا غنيا ميسور الحال \* وهو يحمل اسم أحد الأطباء كوالد له بالاسم فقط ولكن فى حقيقة الأمر ابن أحد اللوردات !

- شىء عجيب ! أحقا هذا الذى تقولينه ؟

والشفقة !

كان من الواضح أنها لم تعد تعتبر امتداحه  
لجمالها من قبيل الاهانات لها . وكانت الغلطة المميتة  
التي ارتكبتها بولدوود هي أنه لم يقل لها في أى وقت من  
الأوقات أنها جميلة وجذابة !

## الفصل الثاني والعشرون

وذات يوم عقب الانتهاء من عملية جز الصوف  
بأسبوع أو أسبوعين ، كانت باتشيبيا تشعر بارتياح  
عجيب بسبب تقيب بولدوود وعدم تواجده فخرجت  
لرؤية حاصدى الحشائش اليابسة التابعين لها . كان  
النساء يقمن بتقليب الحشائش وتجميعها فى كومات .  
وكان الرجال يلقون بالأكوام فوق عربة القش . ومن  
خلف العربة ظهر معطف أحمر ناصع . لقد كان الرقيب  
حيث قد جاء للمساعدة فى أعمال القش لمجرد التسلية .  
وكان يحمل العربة بالقش فى بهجة وسعادة مع

- يسعدني أنه ليس من الضروري أن أشكرك  
نظرا لأنني لا أريد أن أشكرك على أي شيء

- أخشى أن يكون لساني قد أحدث نقبا لن يمكن  
قلبي من اصلاحه على الاطلاق . لماذا ينبغي أن يلام  
رجل لأنه قال لامرأة أنها جميلة ؟ ولكنني أفضل الحصول  
على اللعنات منك على الحصول على لقبيلات من أي  
امرأة أخرى !

**فصاحت باتشيبيا ضاحكة على الرغم منها بسبب  
الطرق الذكية التي يستخدمها :** كل ما تقوله هو مجرد  
تظاهر وادعاءات كاذبة !

- ولكن يا آنسة افردين هل تغفري لي ؟ . . . لقد  
قلت أنك جميلة وهذه حقيقة مجردة لأنك جميلة بالفعل .  
أقسم لك

فقالت وهي في حالة متارجحة ما بين عدم الثقة  
في كلماته والرغبة في سماع المزيد من كلامه :

- لا تقسم لا نحلث . لا أود الاستماع الى قسمك !

الآخرين . وما أن شاهدها حتى غرز الشوكة الموجودة  
بيده في الأرض وتقدم نحوها . فاحمر وجه باتشيبيا  
بالحجل والارتباك وأشاحت بوجهها بعيدا عنه .

**وقال العريف وهو يلمس طاقيته لتحتها :**  
آه . الآنسة افردين ! . . . واستنرد : لم يخطر على بالي  
مطلقا أنني كنت أتحدث معك في تلك الليلة بالغباء .  
واعتذر لك لأنني اتسقت وراء مشاعري وعبرت عن رأيي  
بوضوح شديد . وحقيقة الأمر أنني لست شخصا غريبا  
في هذا المكان . فكثيرا ما قمت بمساعدة عمك في هذه  
الحقول عندما كنت ولدا صغيرا . وكنت اليوم أقوم  
بنفس العمل من أجلك .

**فقالت بدون أن تبسدي كثيرا من الامتنان :**  
أعتقد أنه ينبغي على أن أشكرك على ذلك !

فيدا على الرقيب كان مشاعره قد جرحت **وقال :**

- لا ينبغي عليك أن توجهي الى الشكر . لماذا  
تعتقدين أنه من الضروري أن توجهي الى الشكر ؟

الحزن والكآبة أما ال ٩٩ امرأة اللاتي يتزوجن هؤلاء الرجال ، سيفرقن في الحزن والكآبة أيضا . تلك هي قصتي . وذلك هو السبب في أن امرأة جميلة للغاية مثلك يا آنسة افردين من الصعب أن تكون بمثابة نعمة على الجنس البشرى !

وكان وجه الرقيب أثناء كلامه وقورا وقاسيا . وعندما لم ترد على كلامه استطرد هو قائلا : هل قرأين اللغة الفرنسية ؟ . لقد كانت والدتي فرنسية . والفرنسيون لديهم مثل ماثور معناه أن ذلك الشخص الذي يخلص في حبه ينال عقابا صارما . هل تفهميني ؟

**فأجابت وقد اهتز صوتها قليلا : آه . لو كنت تقابل بنصف الاقتناع الذي تتحدث به ، لأصبحت قادرا على جعل الجرح الناجم عن ضربة سيف أمرا ممتعا . ثم استطردت قائلة له في تسرع : لن استمع الى كلامك بعد ذلك على الاطلاق . ترى كم الساعة الآن ؟**

– ولكن من المؤكد ان كل الناس الاخرين قد قالوا لك أنك جميلة . اليس كذلك ؟ آه . حسنا يا آنسة افردين أنت تجلبين الحزن والحسرة والاسى الى جنسنا نحن الرجال !

**فتساءلت وقد اتسعت عيناها : كيف يتم ذلك ؟**

فبدأ على الرقيب كأنه راح في تفكير عميق وقال : ان الرجل منا عادة يقع في حب امرأة عادية . وتنزوجه ويكون راضيا عن حياته ويعيش حياة مثمرة . ولكننا نجد أن مائة رجل سيرغبون في الزواج من امرأة واحدة جميلة مثلك . ويضطر حوالي عشرين منهم الى اللجوء لشرب الخمر لاغراق همومهم فيها . ويضطر عشرون آخرون الى ائلاف حياتهم لانه لا يوجد امامهم أية طموحات أخرى . ويضطر عشرون آخرون – وأنا ربما اعتبر واحدا من هذه الفئة – الى السير وراءك وتتبع خطواتك هنا وهناك والوصول الى حيث يمكنهم مشاهدتك . لأن الرجال مخلوقات غبية ومخلصة ! وقد يحاولون التغلب على مشاعر الحب في داخلهم ولكن الجميع سيفرق في

**فصاحت في دهشة وتعجب : ولكنى لا أستطيع أن  
أخذها . . لا أستطيع أيضا الرقيب تروى !**

فسار الرقيب للخلف لكي يتجنب استرداد الهدية

حيث مدت يدها للأمام لكي تعيدها إليه . وعندما  
تراجع للخلف تبعته بانثيبيما **وصاحت فيه : كيف يمكن  
لك أن تعطيني ساعة والدك الميت ؟**

**فقال : لقد أحببت والدي ولكنى أحبك أكثر .  
وذلك هو السبب المباشر !**

- ولكن كيف تهتم بي على هذا النحو الفجائي ؟  
فانت لا تكاد تعرفني . لو سمحت خذ الساعة ! ولماذا  
ينبغي عليك أن تكون لطيفا معي الى هذا الحد ؟

وكان مستعدا بإجابة ذكية ولكنه لم ينطق بها .  
وانما اكفى بالنظر اليها . كان جمالها يستحق تماما  
كل المدح الذي قاله . حتى أنه قد دعر تماما من أنه قد  
نطق كلمات المديح في غير اخلاص . **وقال بطريقة  
ألية : أه . لماذا ؟**

وأدركت في وقت متأخر للغاية أنها أخطأت عندما  
قالت تلك العبارة .

فقد نظر الرقيب الى ساعته **وقال لها مستفسرا :**  
أليس لديك ساعة يا آنسة ؟ اذن ستحصلين على  
ساعة !

وقبل أن تدرك ما يهدف اليه وجدت في يدها على  
الفور ساعة ذهبية ثقيلة .

واستطرد هو **قائلا : تلك الساعة لها تاريخ .  
اضغظني على اللوب وافتحى القطاء الحلفى . ماذا  
تشاهدين ؟ . . انه تاج صغير لأحد اللوردات والكلمات  
اللاتينية المكتوبة معناها [ الحب هو العطاء ] . وتلك  
الساعة كانت تخص والدي ، وهو المرحوم لورد  
سفيرين . وهي بمثابة الجزء الوحيد من ثروته التي آلت  
الى . وتلك الساعة كانت تدبير شئون مصالح  
الامبراطورية : الاحتفالات العظمى والاجتماعات السرية  
والسفرات الملكية . والآن أصبحت هذه الساعة  
ملكك !**

- ربما أكون قد أوقعت نفسي فى الفخ الذى كنت  
أنصبه . فمثل هذه الأمور قد حدثت من قبل .  
وداعا يا آنسة افردين !

وعاد الرقيب الى المجموعة البعيدة من العاملين فى  
القش والحشائش . ولكن باتشبيبا لم تستطع الذهاب  
اليهم فى تلك الآونة . اذ كان قلبها يدق فى عنف  
بسبب الاثارة والقلق ، وكادت تنفجر باكيفة بالدموع  
عندما عادت الى منزلها وهي تتمتم **قائلة** : أوه ! ما هذا  
الذى فعلته ؟ ما معنى هذا الذى فعلته ؟ أود لو أعرف  
مدى جوانب الصدق فى كل هذا الذى حدث !!

**واستمر فى النظر اليها . فصاحت وهي غير  
مدركة للتأثير الذى كانت تحدثه على كيانه :**

- ان العمال عندي يشاهدوننى وأنا أتبعك هنا  
وهناك فى الحقل وهم يتعجبون من رؤية هذا المشهد .  
أوه ! هذا أمر شنيع !

**فانفجر قائلا** : اننى فى بادىء الأمر لم أكن  
أرغب فى أن تقبلى الساعة كهدية . فهى البرهان  
والدليل الوحيد المسكين الذى يدل على دمايى النبيلة  
ومولدى النبيل . ولكنى الآن أريد منك أن تقبلى  
الهدية . ولكنك اذا كنت لا تستطيعين قبولها ، فانه  
ينبغى على آلا اضغط عليك أكثر من اللازم !

ثم مد يده واسترد الساعة **واستطرد** : يجب على  
أن أتركك الآن . هل لى أن أراك مرة أخرى ؟

- سوف ترانى بالتأكيد . ومع ذلك لا أعرف  
كيف سيتم ذلك . أوه ؟ لماذا جهت وسببت لى كل هذا  
الازعاج !؟

كبيراً أخضر اللون . ثم ذهبت واحضرت سلماً وفرشاة  
وخطافاً طويلًا ووعاءً خاصاً ووضعت السلم بحيث يكون  
مستنداً على شجرة . وبدأت في الصعود على السلم .

وفجأة سمعت صوتاً قادماً من مسافة لا تزيد على  
عشرة ياردات . وهو صوت كان قد أخذ يحدث تأثيراً  
غريباً في كيانها :

... يا آنسة إفردين . دعيني أساعدك . لا ينبغي  
عليك القيام بمثل هذه الأمور بمفردك !

فأسقطت باتشيبيا كل شيء في يديها وجذبت  
جونلتها بأحكام حول نفسها وحول ساقها وانزلت  
هابطة إلى أسفل السلم . وما أن وصلت إلى الأرض حتى  
وجدت تروى هنالك . **وصاح** : كم أنا سعيد لحضوري  
في هذه اللحظة !

وقبل أن تتمكن من الرد عليه قام مسو بالنقاط  
المعدات بسرعة واستعد للصعود على السلم .

فقالت باتشيبيا بعد أن عثرت على صوتها أخيراً

## الفصل الثالث والعشرون

وفي اليوم التالي كانت باتشيبيا تتمشى في حديقةها  
لترقب النحل الخاص بها . وكانت أعداد كبيرة من هذا  
النحل قد تركت أعشاش مناجلها واستقرت فوق قمة  
شجرة نفاح . مكونة كتلة سوداء متماسكة في مواجهة  
النساء الناصعة . وكان الرجال والنساء التابعون لها ،  
بل وليدى أيضاً . مشغولين في حقل الحشائش .  
وكانت مصممة على استعادة النحل بنفسها . وضعت  
يديها في قفاز جلدي ووضعت على رأسها قبعة عريضة  
مصنوعة من القش . كما وضعت على وجهها حجاباً



– ليس لدى سيف هنا ولكن باستطاعتي الحصول على سيف بحلول هذا المساء .

ثم تتم مقترحا عليها شيئا ما بصوت منخفض .  
فقال باتشيبيا وقد احمر وجهها خجلا : لا . لا  
لا أستطيع ذلك !

لكنها ضعفت وأذعنت وقالت :

– حسنا جدا . سوف أجيء ولكن لمدة قصيرة فقط !

فقال تروى : لن يستغرق الأمر أكثر من خمس دقائق .

وفي الساعة الثامنة من هذا المساء الواقع في منتصف موسم الصيف ، وبينما كانت الكرة الذهبية للشمس بالسماء الغربية تكتسح التلال بأشعتها الرائعة ، أخذت باتشيبيا تشق طريقها الى واد منعزل ومهجور يقع على مسافة ميل واحد من بيتها . وفجأة استدارت وعادت راجعة في اتجاه منزلها .

– ولكن ينبغي عليك أن تلبس القفاز والقبعة العريضة مع الحجاب والا سيلدغك النحل في وحشية !

ثم قامت بخلع القفاز والقبعة والحجاب والبسته هذه الأشياء وراحت تربط الجزء الأسفل من القناع حول ياقته . وبعد لحظات قليلة أنهى مهمته بنجاح ونزل على السلم ممسكا بالوعاء على ذراعه بينما سحابة من النحل تندفق خلف الوعاء .

فقال تروى : هذا العمل الذى قمت به سيجعل ذراعى يوج بالآلام أسوأ من الآلام المترتبة على التدريب على السيف لمدة أسبوع . . . واستنظرد : هل سبق لك أن شاعدت أية تدريبات على السيف ؟ لا ؟ ؟ هل تودين ذلك ؟

فترددت باتشيبيا . لقد سمعت من قبيل أخبارا مدهشة عن هذه الأعمال المجيدة العظيمة الغريبة . فقالت في رفق ما كانت تحس به بقوة : نعم أود ذلك تماما !

لهم ضربتان لأعلى ممينتان ونحن جنود الفرسان لا  
نستخدمهما : وهما على هذا النحو . .

- يا لهم من أناس قتلة وسفاكين للدماء !

- اتهم يتميزون بالقسوة بعض الشيء . والآن  
سأعرض لك أمورا مسلمية . أنت ستقومين بدور العدو  
أمامي . ولكني في كل مرة سأخاطبك بمسافة عرض  
شعرة رأس واحدة .

وعليك الالتزام بعدم التحرك على الإطلاق !

وبدأت روح المغامرة الكامنة في كيان بانثيبيا  
تستمتع بهذه التجربة غير العادية . فوعدهته بالوقوف  
ساكنة دون حراك واتخذت موقعا لها أمامه .

- ولكي أعرف الآن ما اذا كانت لديك الشجاعة  
الكافية سأقوم بتجربة مبدئية عليك .

وتللا السيف بجوار جانبها الأيسر . وظهر عند  
جانبها الأيمن . كما لو كان قد اخترق جسدها . وتم  
كل شيء، بسرعة هائلة كالتيار الكهربائي .

وبعد أن قطعت نصف المسافة نظرت فيما حولها  
فشاهدت بقعة باهتة حمراء اللون فراحت تجرى عائدة  
مرة أخرى في اتجاه التل . وعندما وصلت الى حافة  
الوادي التي تشبه صحن الفجآن أصبحت لا هنة  
ومتقطعة الأنفاس ومرتعدة . وكان تروى واقفا أسفل  
المنحدر وينظر لأعلى نحوها .

**وقال وهو يخرج السيف الذي تللا في ضوء  
الشمس تحية لها :** والآن نلاحظ أولا أن تكون هناك  
أربع ضربات سريعة نحو اليمين وأربع ضربات سريعة نحو  
اليسار .

فشاهدت بانثيبيا نوعا من قوس القزح رأسا على  
عقب في الهواء ثم توقفت ذراع تروى مرة أخرى . ثم  
استطرد : ونحن نستخدم نصل السيف وسنه المدبب  
في أعمال الهجوم والدفاع على حد سواء .

وراح يشرح لها ذلك عمليا . ثم قال : ونطار  
العدو الهارب بهذه الطريقة .

وبين لها ذلك عمليا . واستطرد : والجنود المشاة

### فصاحت في رعب وهي تضغط بيدها على جنبها :

- آوه ! هل جريت بالسيف في داخل جسدي ؟  
لا . لم يحدث ذلك . اذن ماذا فعلت بالضبط ؟

فقال تروى في هدوء : لم المس جسمك على  
الاطلاق . والآن . هل أنت خائفة ؟ اذا كنت تشعرين  
بالخوف لن أستمر في هذه الاستعراضات !

- لا اعتقد انني خائفة . ولكن أنت واثق أنك لن  
تحدث بي جراحا ؟ وهل السيف حاد للغاية ؟

- آوه . لا تخافى . عليك فقط بالوقوف ساكنة  
تماما مثل الصخرة !

وفي لحظة شعرت بانثبيبا أنها محاطة بأشعة ضوء  
الشمس المنعكسة على نصل سيف تروى الذي بدأ  
وكانه يشغل كل مكان بمجرد صدور الوميض عنه .  
ومروره في الهواء بصوت حاد كالصفيح . وخلف النصل  
كان باستطاعتها مشاهدة ذراع سيفه الذي يمتد مثل  
ضباب أحمر اللون . وخلف تلك الذراع كان يلوح وجه

تروى حيث كانت عيناه تقيسان دائما عرضها وخطوطها  
الخارجية . وكانت شفتاه مزهومتين في تصميم .  
وأخيرا أصبحت حركاته بطيئة حتى أنها أصبحت تشاهد  
تلك الحركات منفصلة بعضها عن البعض الآخر . وبعدئذ  
انتهى التصغير وتلاشى تماما بعد أن توقف عن الحركة .  
ثم قال قبل أن تتحرك من مكانها أو تنطق بكلمة  
واحدة :

- الأمر يستلزم ربط ذلك الجزء المتوج من  
الشعر . . . واستقرت : انتظري . سأقوم بربط هذه  
الكتلة الصغيرة من الشعر نيابة عنك .

ثم لمع السيف في وميض وسقطت كتلة الشعر  
الصغيرة على الأرض . فصاح تروى : برافو ! انك لم  
ترتعدى قيد أنملة . أنت رائعة فمن النادر أن تكون  
هناك امرأة في مثل هذا الثبات ! والآن مرة أخرى .  
سأقوم بقتل تلك الحشرة الواقفة عليك . ممنوع الحركة  
تماما !

كانت الحشرة واقفة فوق الجسزء الأمامي من

ذهنيا بالاضطراب والارتباك بعد أن تغلبت عليها  
مشاعرها تماما .

**فقال تروى في رقة :** لقد كنت في امان تام لان  
سيفي لا يخطيء على الاطلاق . . والآن ينبغي على أن  
اترك وأنصرف ولكني سأحتفظ بهذا كتذكار منك !  
ثم انحنى على الأرض والتقط كتلة الشعر الصغيرة  
ولفها حول أصابعه وفك زرار جيبه ووضعها في داخل  
الجيب . وبعدئذ ازداد اقترابه منها . فشعرت أنها غير  
قادرة على مقاومته أو رفض طلبه .

وبعد لحظات شاهدت زيه الرسمي الأحمر اللون  
وهو يختمى بين الشجيرات . وكانت تلك اللحظات  
قد دفعت بالدماء الى وجهها وأشاعت الاضطراب في جميع  
أرجاء جسدها كما لو كانت مشتعلة بالنيران . وبعدئذ  
انفجرت باكية بالدموع بعد أن سيطرت عليها مشاعر  
الحجل من نفسها . . ماذا ؟ . . لأن فم تروى قد هبط  
في رفق فوق فمها .

فهو قد قام بتقبيلها . . . !

ردانها . وشاهدت الجزء المذهب الأمامي للسيف يتللا  
نحو صدرها حيث بدا وكأنه يدخل في صدرها  
فأغمضت عينيها وقد أيقنت أنها قتلت في نهاية الأمر .  
ثم فتحت عينيها كالعماد مرة أخرى .

**وقالت باتشيبيا في دهشة عندما هد سيفه وشاهدت  
هي الحشرة المنصصة على سن السيف :** انه سحر ،  
رائع ! . . .

**ثم تساءلت :** ولكن كيف تمكنت من قطع كتلة من  
شعري بسيف ليس له حافة حادة ؟

ليس له حافة ؟ ان السيف يمكن استخدامه في  
الحلاقة مثل موس الحلاقة . لقد كذبت عليك كذبة  
صغيرة لكي لا ترتعدى من الرعب . وحقيقة الأمر أن  
السيف كاد أن يكشط أجزاء من بشرتك على مدى ٢٩٥  
مرة .

**فصاحت باتشيبيا :** هذه قسوة شديدة منك !  
قسوة !

ثم جلست على الأرض فوق العشب وقد مساج

خطاب موجه الى بولدوود ذكرت له فيه فى شىء من  
الحزم المزوج بالرفق بأنها قد اتخذت قرارا نهائيا : وهو  
أنها لا تستطيع أن تتزوجه .

وفى مساء اليوم التالى غادرت باتشيبيا المنزل لكى  
لا تتيح الفرصة لبولدوود لمقابلتها فى حالة مجيئه اليها  
للرد على رسالتها شخصيا . ولكى تعتذر عن مشاجرتها  
مع ليدى فانها منحتها اجازة لمدة اسبوع لكى تزور  
أختا لها متزوجة وتسكن فى الغابة الواقعة على مسافة  
أميال قليلة . ووضعت الترتيبات على أساس أنها ينبغي  
أن تشرفهم وذلك بالاقامة معهم ليوم واحد أو يومين .

ثم تركت باتشيبيا المنزل وطلبت من ماريان أن  
تتولى شؤون المنزل نيابة عنها أثناء غيابها وانطلقت عقب  
توقف المطر الرعدى . وما أن قطعت مسافة ميلين تقريبا  
حتى شاهدت نفس الرجل الذى كانت ترغب فى تجنب  
مقابلته . . شاهدته آنيا فوق تل يالبرى فى اتجاهها .  
كانت مشيمته بطيئة وغير راسخة وذلك بعكس  
خطواته الثابتة المعهودة . كانت نظراته متجهة نحو

## الفصل الرابع والعشرون

وبعد أسبوع أو نحو ذلك قام تروى بإبلاغ  
باتشيبيا أنه ذاهب الى بات لزيارة صديق له . وكانت  
باتشيبيا قد أصبحت آنذ واقعة فى حبه تماما . حتى  
أنها رفضت الاستماع الى أى كلام قيل فى غير صالحه .  
بل وتشاجرت شجارا مريرا مع جبريليل أوك عندهما  
توسل اليها وطلب منها الاحتراس وعدم الاندفاع . وبعد  
ذلك بساعة واحدة تشاجرت بجنون مع ليدى فى مشهد  
رهيب تحول من الغضب الى الدموع ومن الدموع الى  
القبلات . ولقد قامت فى نفس هذا المساء بكتابة

للخروج من هذا المازق المرحج ، فقالت في ضعف :  
طابت ليلتك !

كانت على وشك مواصلة السير عندما انفجر  
بولدود قائلا : أوه ، يا باتشيبيا ! بالله عليك  
ارحميني ! .. نعم ، لقد تدهور بي الحال كثيرا حتى  
أنتى أطلب الرحمة من امرأة !! .. رحمة بي كرجل  
يشعر بالوحدة القاسية لا تلفظيني الآن !

- اننى لا أظنك . كيف لى أن أفعل ذلك ؟ فانا  
لم ارتبط بك فى أى وقت من الأوقات !

- لقد جذبت انتباهى اليك برسالك تلك الرسالة  
- بطاقة عبد القديس فالتين - أنت قد شجعتينى !

- ما تسميه أنت بالتشجيع كان بمثابة لعبة  
طفولية قامت بها امرأة تشعر بالفراغ وتريد أن تسلى  
نفسها . ولقد أسفت بشدة على هذا التصرف من جانبى .  
نعم . أسفت بشدة وبكيت بالدموع بسبب هذا

الأرض ولم يشاهدها الا بعد أن أصبح على مسافة  
ياردات قليلة منها . حيث نظر لأعلى وكان الألم البادى  
على وجهه أكثر تعبيرا من الكلمات .

وقال عندما بدا عليها كأنها تريد تقادى اللقاء  
معه :

- ماذا فى الأمر ؟ أنت خائفة منى ؟ أنت تعرفين  
أن حبى لك قوى وعميق مثل الموت .. وطردى عن  
طريق خطاب متسرع لن يغير حبى لك !

فقالت باتشيبيا فى تهمة : أمل ألا يكون حبك لى  
قويا على ذلك النحو . انه لأمر كريم منك أن تحبنى ..  
ولكن لا ينبغي أن أستمتع لك الآن !

- تسمعين ؟ ماذا تظنين انى قائل ؟ لقد قلت فى  
خطابك أنك لن تتزوجينى وذلك يكفى تماما ..  
فخطابك كان واضحا تماما !

وشعرت باتشيبيا أنها محاصرة ولا سبيل امامها

فتأخرت في الرد عليه قليلا ولكنها ردت في صدق  
وامانة : نعم !

- لقد سرق قلبك أثناء غيابي . لماذا لم يكسب  
قلبك قبل أن أعرفك؟ ان الناس الآن يضحكون استخفافا  
بى . لقد فقدت هيبتي واحترامى وفقدت سمعتى بين  
الناس ، وضاع مركزى فى المجتمع . . . ولن أتمكن من  
استرداد هذه الأمور مرة أخرى . اذهبى وتزوجى الرجل  
الذى تحبينه . اذهبى ! فزيه الأحمر الناصع قد ترك  
غشاوة على عينيك . وهو قد قبلك . هل تسمعينى ؟  
لقد قبلك بالفعل . هل تقسمين على أنه لم يقبلك ؟!

**فقالت فى شجاعة على الرغم من شعورها بالخوف :**  
- نعم . لقد حدث ذلك . وأنا لا أخجل من ذكر  
الحقائق !

**فانفجر بولودود فى غضب هامس :** لعنة الله  
عليه ! . . لسوف أجعله يندم على كل ذلك يوما ما . .  
وعندئذ سيسب ويلعن مثلما أفعل أنا الآن !  
فتوسلت اليه بصيحة مليئة بالبؤس والشقاء :

بعيدا عن الناس - ١٩١

التصرف . فهل ينبغي عليك أن تظل تذكرنى بهذه  
الغلطة التى وقعت فيها ؟ ألن تغفر لى وتتنظر الى المسألة  
كلها بنوع من المرح والبشاشة ؟

- مرح وبشاشة ! هل يمكن لرجل تم استغفاله  
أن يجد سببا يدعو للبشاشة والمرح ؟ يا آنسة افردين  
انت لست امرأة غير مكترفة على النحو الذى تتظاهرين  
به الآن . فانت تموجين بقدر كبير من الحب . ولكن  
ذلك الحب قد تحول الى اتجاه آخر . وأنا أعرف مكان  
ذلك الاتجاه !

وتوقف عن الكلام وبدأ قلب باتشيبيا يصدق فى  
وحشية . ربما قد سمع شيئا عن علاقتها بالرقيب  
تروى !

وبرهنت اللحظة التالية على أنه يعرف تلك العلاقة  
حيث قال : ماذا لم يترك تروى كنزى وشأنه ؟ . .  
فقبل أن يفرض هو نفسه عليك كنت أنت على استعداد  
كامل للزواج منى . اليس كذلك !؟

١٩٠

لا تفعل ذلك . لا تمنى له الشر ! كين شفوفا  
عليه يا سيدي لاننى احبه حبا صادقا !

ولكن ذهن بولدوود كانت تجتاحه مشاعر الغضب  
الشديد حتى أنه لم يعد يسمح توسلاتها فاستطرد قائلا :  
سأنزل به العقاب . . سأضربه بالسياط لأنه سرق  
الكثير الخاص بى . ولسوف . . . . .

ثم أخفض من صوته فجأة وعلى نحو غير طبيعي  
وقال : يا باتشيبا . . أيتها الفتاة الحلوة الجميلة . لقد  
كنت أوجه اللوم لك بينما غلطته هو هي الغلطة  
الفادحة . لقد تمكن من سرقة قلبك عن طريق حيله  
المادعة الخسيسة . ومن حسن الحظ أنه قد عاد الى ثكنات  
الجيش . وآمل ألا يعود فى القريب العاجل . أوه  
أبعديه عن طريقي . . أبعديه !

واستدار وتركها . وسرعان ما اختفى هيكله  
فى الضوء الآخذ فى الأقول والفلشى . وضاعت أصوات  
وقع أقدامه بين الأشجار الهامسة .

فغطت باتشيبا وجهها بيديها . كانت تدرك أن  
تروى سيعود خلال يوم واحد أو يومين وسيملك جوالى  
أسبوع ليعود بعد ذلك الى ثكناته . فإذا ما تقابل مع  
بولدوود بطريق الصدفة ستنشأ مشاجرة وخشمية مما  
قد يؤدى الى اصابة تروى بالجراح . فأى قدر ضئيل من  
الاهانة سيثير غضب بولدوود . وقد يؤدى غضبه الى  
الاندفاع نحو الانتقام . ينبغى عليها أن تمنع حدوث  
الصدام بينهما بأية وسيلة . وينبغى أن تتصرف على  
وجه السرعة .

وبعد مرور ساعتين استيقظت ماريان فجأة وهى  
تشعر أن شيئا ما غير مريح قد أشتاع القلق فى نومها .  
فنظرت الى الخارج من النافذة فشاهدت هيكلًا ظليا يقود  
حصان باتشيبا من الحقل المجاور للمنزل . وبعد دقائق  
قليلة سمعت حصانا وعربة يتم جرهما الى الخارج فى  
الحارة . وكانت بمفردهما بالمنزل وخشيت أن تصبح  
بصوت عال أثناء وجود اللص . وبعد أن اختفى اللص  
تماما ارتدت ملابسها وجرت الى منزل كوجان - وهو  
أقرب منزل لها - طلبا للنجدة والعون . فقام جان



**فصاح جبرييل :** دع البوابة مغلقة ! لقد سرق الحصان !

ولكنه عندما اقترب بحصانه ونظر في وجه السائق شاهد وجه امرأة .. شاهد وجه سيدته باتشيبيا !

**فتساءلت :** ومي تفتي دهشتها باللجوء الى البرود وهدوء الأعصاب : حسن يا جبرييل الى أين أنت ذاهب ؟ هل كنت تتبعني وتسير ورائي ؟

**فقال جبرييل في ارتباك :** لقد اعتقدنا أن الحصان قد سرق .

— كم أنتم أغبياء ! الا يمكن لسيدة أن تتحرك مقدار بوصة بعيدا عن بابها بدون مطاردتها كأنها لصة ؟ هناك موضوع هام جعلني ألقى زيارتي ليدي وأنطلق على الفور . ولم أستطع إيقاف ماريان رغم أنني طرقت على بابها بشدة . يا لله .. أليس هذان الحصانان يخصان المستر بولدوود ؟ .. لماذا تجلبون على المتاعب بهذه الطريقة ؟!

بايقاظ جبرييل الذي كان يقيم هناك وذعبا سويا الى الحقل . لقد سرق الحصان ما في ذلك شك .

**وتساءل جان :** كيف يمكن لنا أن نتبعه ؟ فالخيول في مزرعتنا بطيئة ولا تصلح للمطاردة السريعة . ولكننا اذا حصلنا على الحصانين التابعين للمستر بولدوود الموجودين عند السياج هنالك سنتمكن من عمل أى شئ .

وبعد عشر دقائق كانا منطلقين فوق حصاني بولدوود . ولكن النص كان قد أصبح على مسافة بعيدة للامام وعند كل مفترق طرق كانا يضطران للنزول عن الحصانين وفحص آثار الأقدام تحت ضوء أعواد الثقاب . وأخيرا وصلا الى الطريق الرئيسي المؤدى الى باث . وهناك شاهدوا أمامهم مباشرة الحواجز الحمسة البيضاء للبوابة التي تعترض الطريق كما شاهدوا الشكل القاتم لعربة تقف أمام البوابة . كان البواب خارجا لنوه من منزله دون أن يكمل ارتداء ملابسه وقد أمسك بيده مصباحا .

## الفصل الخامس والعشرون

ومر أسبوع يدون أن تصل أية أنباء عن  
باتشيبيا . وبعدئذ وصلت رسالة الى ماريان تقول فيها  
أن الأعمال ما زالت تبقئها في بات . ومر أسبوع آخر  
وبدا حصاد القمح . وفي داخل المنازل لم تكن هناك  
اصوات سوى اصوات الذباب . وفي الحارج كان جميع  
الرجال يعملون بالحقول تحت سماء شديدة الزرقة .  
وبين نسائم الهواء المرتعدة في ظلال الظهيرة .

وكانوا على وشك الحصول على قدر من الراحة  
في الظل عندما ظهر هيكل يرتدى معطفا أزرق به أزرار

فتساءل جان كوجان : وكيف لنا أن نعرف الامور  
التي تحدث طالما أنك لم تطلعي احدا على تحركاتك ؟  
فالسيدات لا يستقن العربات في هذه الساعات المتأخرة  
بوجه عام يا آنسة !

— لقد تركت بالفعل خبرا يقميد باننى غادرت  
المنزل . فقد كتبت ذلك بالطباشير على باب الاسطبل .  
ورغم أنها كانت متضايقة الا انها كانت لديها  
الرغبة في توجيه الشكر لهما على اخلاصهما الشديد .  
ولذلك اضافت قائلة :

— أشكركما على تكبد كل هذه المشاق . ايمكن أن  
تعودا الآن لو سمحتما ؟ فانا باستطاعتي تدبير اموري  
جيدها . ولسوف أصل الى بات مع تباشير الصباح .  
ومرت من البوابة وانطلقت متوارية في الظلام .  
واستدار جان وجيريليل بحصانئهما . وقال جان بينما  
كانا ينطلقان عائدئين الى المنزل : ولكنها لن تصل الى  
بات بحلول ضوء الصباح !

وتساءل جبرييل في نفاذ صبر : ماذا شاهدت يا كين ؟

- لقد شاهدت سيدتنا تدخل في حديقة وقد تأبطت ذراع جندي . واعتقد أن ذلك الجندي هو الرقيب تروى . وكانت هي ترتدي فستانا حريريا ذهبيا . . . وكانت تسريحة شعرها رائعة . ثم جلسا سويا فوق احد المقاعد لمدة نصف ساعة حيث كانا يتحدثان في اهتمام وجدية ووقار . وكانت هي تبكي أيضا . وعندما خرجا من الحديقة كانت عيناها تلمعان . وبعدئذ دخلت أنا في محل لبيع الفطائر ، ولم أشاهدهما بعد ذلك مرة أخرى . .

وبعد أن حصل الرجال على قدر من الراحة عادوا جميعا الى أعمالهم بما فيهم جبرييل . لم يكن جبرييل ملزما بتقديم المساعدة في انجاز الأعمال بحقل القمح . ولكن القمح كان قمح باتشيبيا ، ولذلك تطوع لأداء المساعدة . وكان جان كوجان يفهم مشاعره تماما .  
**ولذلك قال في هدوء :**

نحاسية ، ويهرول نحوهم عبر الحقل . كان ذلك الهيكل هو كين بول الذي كان في أجازة لأيام قليلة حيث حدثت إصابة في يده منعه من العمل معهم . وكان يأكل أثناء الجرى وعندما اقترب منهم بدأ يكبح في عنف .

**وقال ردا على تائب وجهه له جبرييل :** لقد انزلت قطعة من الخبز في مكان خاطيء يا مستر أوك ! ثم استنطرد : لقد كنت في زيارة لبات وشاهدت بنفسى سيدتنا هناك .

وتزايدت الكحة فعرقلته عن مواصلة سرد الأنباء ثم صب له جان بعض السيدر (١) في فمه . ولكن الكحة ازدادت سوءا . وصاح كين بسجرد أن تمكن من التحدث مرة أخرى فقال : لقد ارتفع السيدر الى أنفى . . والآن هبط السيدر الى أسفل رقبتى . . وفوق أفضل الثياب عندى !

(١) مشروب يستخرج من عصير الفلاح .

ولم يكن قد خرج من مزرعته منذ أن قابلها في آخر مرة . وكان قد ظل حبيسا للصحبة والوحدة ومليئا بالأفكار المريبة ، إلا أن حالته النفسية قد تحسنت تدريجيا ، فجاء ليعتذر لها عن انفجاره العنيف . وكان قد سمع توا أنباء عودتها . ولكنه كان يعتقد أنها كانت مع ليدي حيث لم يكن يعرف أية أخبار عن رحلتها إلى بات .

وكانت طريقة ليدي وسلوكها غريبا عندما وصلت إلى الباب ولكنه لم يلاحظ ذلك . وقالت له بعد أن أخذت منه رسالته : إن سيدي لا يستطيع مقابلتك يا سيدي . فغادر المكان على الفور ولكنه لم يسرع بالعودة إلى منزله . وكانت الساعة العاشرة مساء عندما شاعدا عربية تدخل القرية . وخرج من العربية هيكل يرتدي الزي الرسمي الأحمر اللون وسار الهيكل صاعدا التل في اتجاهه ، وقد أمسك بيده حقيبة سفر .

فتقدم بولدوود خطوة للأمام وقال : الرقيب تروى ؟ .. أنا وليام بولدوود !

- لا تقلق عليها هكذا يا جبريل . فطالما إنها ليست معشوقتك فهل يهيك لمن تكون هي معشوقة ؟

فقال جبريل : ان ذلك هو بالضبط ما أقوله لنفسي !

وفي نفس هذا المساء كان جبريل مستلدا على بوابة حديقة كوجان قبل الذهاب للنوم عندما سمع صوت عربية يجرها حضان آتية في الحارة ، فتعرف على الفور على صوتي باتشيبيا وليدي . وشعر بالارتياح لعودتها بالسلامة إلى منزلها . وطارت جميع الأفكار الأخرى من رأسه . ومرا بالعربة وظل هو واقفا هنالك إلى أن خيم ظلام الليل تماما وملا السماء . وبعدئذ مر أمامه ببطء هيكل قائم وقال له : مساء الخير !

وكان ذلك الهيكل هو بولدوود . فرد جبريل التحية ثم دخل للمنزل للنوم على السرير . ولكن بولدوود استمر في سيره في اتجاه منزل باتشيبيا وطرق بابها .

فقال تروى بعد لحظة صمت :

— من المفروض أنه ينبغي على • ولكنى لا أستطيع  
لأن • • ثم استنقرد قائلاً : لأننى فقير للغاية !

وتغيرت نبرة صوته • كان صوته فى بادئ الأمر  
شجاعاً ولكنه أصبح بعدئذ مليئاً بالحداد والدهاء •

ولم تكن الحالة الذهنية لبولدوود تسمح له  
بملاحظة هذا التغير الذى طرأ على صوت تروى •  
فاستنقرد : انتم اهدف الى عمل ترتيبات معك تعود  
عليك بالنفع والعائدة • لقد كنت أنا اضع فى خطى  
الزواج من الآنسة افردين • ولو لم تظهر أنت فى أفق  
حياتها • لكنت قد وافقت بالفعل على الزواج بنى فى  
هذه الآونة • وأنت كنت ستتزوج فانى لو لم تشاهد  
باتشيسيا • وهناك فارق كبير للمضايقة فى الوضع  
الاجتماعى بينك وبين الآنسة افردين • ولذلك فانا  
أطلب منك ألا تزججها بعد ذلك • تزوج فانى وأنا أقوم  
بمساعدهتك !

— حقا ؟

وكانت الطريقة التى قيلت بها هذه الكلمة كافية  
لأن تجعل بولدوود يدخل فى الموضوع مباشرة •  
إذ قال : أود التحدث معك بشأن السيدة التى تعيش  
أمامنا هناك وبشأن سيدة أخرى أسأت إليها من قبل •

فقال تروى وهو يحاول مواصلة المسير : اننى  
أتعجب من أخلاقك السيئة !

فقال بولدوود وهو يقف أمامه ليمتنعه من مواصلة  
المسير : استمع الى • لسوف نتحدث معى سواء رغبت  
فى ذلك أو لم ترغب !

وأدرك تروى التصميم الذى يشع من صوته ونظر  
الى بنائه الجسائى القوي وشاهد العصا الغليظة التى  
يمسكها فى يده فقال : حسن • سأستمع اليك • ولكن  
عليك بالتكلم بصوت منخفض لكيلا يسمعننا أحد • •  
— اننى أعرف مسألة حب فانى روبرين لك •  
ينبغي عليك أن تتزوجها !

وفقال تروى هامسا : انصت ..

وترامى صوت وقع أقدام خفيفة على الطريق  
أمامهما . فاستترد تروى :

- انها باتشيبا . ينبغى أن اذهب لمقابلتها !  
**فقال بولدوود فى دهشة : باتشيبا ؟** .. تخرج  
وحدما فى هذه الساعة المتأخرة ليلا ! ولماذا ينبغى  
عليك أن تقابلها ؟

- انها تتوقع مجيئى الآن . والآن ينبغى على أن  
اذهب اليها وأودعها للأبد تنفيذاً لرغبتك . ولسوف  
تسمح كل الكلام الذى أقوله لها . أمسك حقيبتى نيابة  
عنى . وارهف السمع !

واقترب صوت وقع الأقدام الخفيفة . وكان  
الصوت يتوقف من وقت لآخر كما لو كانت تحاول  
الاصغاء لسماع أى صوت . وراح تروى يحدث بصفيرا  
مزدوجا مثل تغريد الطيور وتقدم للأمام نحوها .

وجاء صوت باتشيبا **وقيقا** : فرانك يا عزيزى

- كيف ؟

- سادفع لك مبلغا كبيرا من المال الآن بحيث  
لا تعانى من الفقر مستقبلا . خذ حقيبتك وعِدْ أدراجك  
واترك وذربرى فى هذه الليلة . وعندئذ سأعطيك  
خمسين جنيها الآن . وقل لى عنوان فانى لكى أعطيها  
خمسائة جنيه فى نفس اليوم الذى تتزوج فيه .

وكان صوت بولدوود يوحى بأنه يدرك مدى  
ضعف موقفه . فهو قبل شهر قليلة كان سيحتقر  
مثل هذه الخطة على أساس أنها خطة حمقاء وصبيانية .

**فقال تروى** : اننى أفضل فانى . واذا كانت  
الآنسة افردين فى غير متناول يدى كما تقول فانه من  
الأفضل لى أن أقبل النقود وأنزوج فانى رغم أنها  
ليست سوى خادمة . لقد قلت خمسين جنيها فى  
الحال !؟

**فقال بولدوود وهو يعطى تروى مجموعة صغيرة  
من النقود** : نعم . لقد قلت ذلك . وها هى خمسون  
جنيها من الذهب !

دون أن يكون راغباً في ذلك • وألقى بتروى على  
السياج **وقال له** : أيها الشيطان !

وكان تروى على وشك الرد على هجومه بهجوم  
مضاد ولكنه كبح جماح نفسه **وقال في هدوء** : القتال  
طريقة غير حضارية في تسوية الخلافات • فانا سأترك  
الجيش قريباً لنفس هذا السبب • وطالما أنك قد  
شاهدت بنفسك مدى حب باتشيبا لي فانك ستتركب  
خطأ جسيماً إذا قتلتني • اليس كذلك !؟

**فقال بولدوود مردداً نفس العبارة بطريقة  
تلقائية :**

- سيكون خطأ جسيماً إذا قتلتك •

ثم **استطرد في قلق وعصبية** : تروى • اتخذ  
منها زوجة لك • فانا الآن لم أعد أريدها • وينبغي  
عليها أن تحبك لكي تبعد نفسها لك مثلما فعلت •  
يا لها من امرأة تعيسة ! امرأة ضالة !

**فقال تروى** : ولكنها تمتلك ارادة قوية •• ولها

هل جئت يا جيبى ؟ •• لقد تأخرت كثيراً عن موعدك !  
فلقد سمعتك تدخل الى القرية بالعربة منذ بعض  
الوقت •• يا فرانك • من حسن الحظ أنه لا يوجد  
بالمزمل سوى • اذ أرسلت ماريان لمنزلها لقضاء الليلة  
هناك • وليدى قد ذهبت الى جدتها لتخبره بأجازتها •

**فقال تروى** : شيء رائع ! اسبقيني الى منزلك  
لحين احضار حقيقتي وأعدك أن أصل الى غرفة الجلوس  
بمنزلك في خلال عشر دقائق •

فاستدارت وقلبت راجعة •• وأثناء هذه المحادثة  
كانت شفتا بولدوود المزمومتان ترتعدان ، وكان وجهه  
غارقا في العرق الغزير • وما أن رجع اليه تروى حتى  
قفز عليه وأمسكه من رقبته •

وشعر تروى بقبضة بولدوود الحديدية حول  
رقبته **فقال** : توقف عن هذا • انك بهذا التصرف  
تؤذي الانسانة التي تحبها !

فزهجر بولدوود ورفع يديه عن رقبته الجندى

٢١ جنبها وإذا جئت إلى منزلي ستكتب اتفاقاً بالبيع  
الباقي .

**فقال تروى :** سئذذهب أولا إلى باتشيبيا  
ونخبرها .

ثم سارا سويا نحو منزلها . وعندما وصلا إلى  
مدخل المنزل **قال تروى :** انتظر لحظة .

ثم انزلق إلى داخل المنزل . وبعد دقيقتين ظهر  
مرة أخرى وقد أمسك بيده شمعة وجريدة مطوية  
**وقال :** أيمكنك أن تقرأ هذه الجريدة ؟ سأرفع لك  
الضوء لتتمكن من القراءة .

فنظر بولدوود وقرا :

### حالات الزواج

في ١٧ أغسطس وبكنيسة القديس أمبروز  
وفي بلدة باث . تم عقد قران فرنسيس تروى وهو  
الابن الوحيد للمرحوم الدكتور ادوارد تروى من

مزاجها الخاص بها . . . . . ولسوف أكون مجرد عبد لها .  
كان باستطاعتي عمل أي شيء مع فاني روبين .

**فتوسل بولدوود قائلاً :** يا تروى . لا تتركها  
الآن . لا تترك باتشيبيا . اخلص في جنبها . . . . . ولكن  
رقيقاً وحنوناً عليها . . . . . ولسوف أفعل أي شيء من  
أجلك . أود أن تسارع بالزواج منها . وينبغي عليك  
أن تدعني أساعدك !

- كيف ؟

- بأن تعطى النقود لباتشيبيا بدلاً من إعطائها  
لفاني . لا . أنها لن تقبل النقود . سادع لك النقود  
في يوم الاحتفال .

ودهش تروى من السخافة الجامحة لمشاعر الحب  
لدى بولدوود . **وقال في غير اهتمام :** هل لي أن  
أحصل على أي شيء الآن ؟ .

فجذب بولدوود حافظة نقود من جيبه **وقال :**  
نعم . إذا كنت ترغب في ذلك . لدى في هذه المحفظة



سأنزل بك العقاب ! أقسم أنني سأنزل بك العقاب في  
يوم ما !

وانفجر تروى ضاحكا ثم أغلق الباب بالقفل من  
الداخل . وربما شسوهده الهيكل الداكن لبولدوود  
يتجول طوال تلك الليلة فوق التلال مثل شبح يوج  
بالقلق والاضطراب . وفي صباح اليوم التالي اكتشفت  
القرية ان مزرعة وذربري العليا قد أصبح لها سيد  
جديد .

ودربري وهو رقيب في حرس الفرسان الحادي عشر .  
على باتشيبيا وهي الابنة الوحيدة للمرحوم المستر جون  
افردين من كاستربردج .

ووقعت الجريفة من يد بولدوود . واستتورد  
تروى ضاحكا في استخفاف وهو يقول : ٥٠ جنيتها من  
أجل أن أتزوج فاني . شيء حسن . وواحد وعشرون  
جنيتها لكيلا أتزوج فاني وانما لكى أتزوج باتشيبيا .  
شيء حسن . وما هي النتيجة : اننى زوج باتشيبيا  
بالفعل . والآن يا بولدوود أقول لك أن قدرك عائر  
وسخيف لأنه يسير دائما وراء التدخل بين رجل  
وزوجته . وأنا ربما أكون شخصا سيئا ولكنى لست  
وضيعا بحيث أجعل مسألة زواج أو بؤس أية امرأة  
متعلقا بالنقود . لقد تركنى فاني منذ فترة طويلة .  
ولا أعرف المكان الذي تعيش فيه الآن . ولقد بحثت  
عنها في كل مكان . وطالما أنني قد أعطيتك درسا في  
الحياة فأننى أعيد اليك نقودك !

وألقي بالنقود في الحديقة في ازدرء شديد .

فزار بولدوود في غضب : أيها الشيطان ! ..

خلال اثنتى عشرة ساعة . سيكون جو موسم الحصاد  
قد ذهب . فنظر جبرييل فى قلق الى ثمانية اكوام  
كانت مكشوفة وغير محمية وكانت تمثل نصف انتاج  
المزرعة فى تلك السنة . وبعدها استمر فى السير الى  
مخزن الحبوب .

كانت تلك هى الليلة التى اختارها الرقيب تروى  
الذى أصبح يتولى زمام الأمور بدلا من زوجته للاحتفال  
بموسم الحصاد . وتناول العشاء والحوض فى الرقص  
والإنتهاج . وعندما اقترب جبرييل تزايد سماعه  
لصوت الموسيقى والرقص . وكان أحد الأبواب  
الضخمة مواربا فنظر الى الداخل . كان الطرف  
القريب من مخزن الحبوب مليئا حتى السقف بالقمح  
أما باقى المساحة فقد أخلبت ليتم فيها الرقص .  
وكانت هناك فرقة من العازفين تعزف فى حنون نسما  
العرق تنصت من وجوههم . وكانت ناتشيبا واقفة  
عند الطرف البعد ترتب المشهد من خلف منضدة  
مغطاة بالطعام والشراب والخمور . أما تروى فكان واقفا  
فى تراخ وخمول الى جوارها .

## الفصل السادس والعشرون

وذات ليلة فى نهاية شهر أغسطس وقف جبرييل  
أوك ساكنا فى فناء المزرعة العليا محملا فى وجه القمر  
وفى السماء . كان الليل مليئا بالدلائل والعلامات  
الخطيرة . اذ هبت ربيع دافئة من الجنوب وتلاطمت مع  
الأشجار . الا أن مستويات مختلفة من السحب كانت  
تظهر فى اتجاهات مختلفة . وكان وجه القمر لدى رؤيته  
من خلال السحب ، له منظر معدنى غريب .

كان الرعد وشيك الوقوع . وكانت الدلائل  
الأخرى تشير الى أن الرعد سيعقبه مطر شديد . ففى

والحمور الأخرى • وسيتم تسليم كل ضيف مشروباً روحياً قوياً !

**فوضعت باتشيبيا يدها على ذراعه وتوسلت إليه :**

- لا • لا تقدم لهم مشروبات روحية أخرى •  
يا فرانك ! لأن ذلك يسبب لهم المتاعب الصحية •  
فهم قد حصلوا بالفعل على قدر كاف من الشراب والطعام والحمور •

**وقال أحد الرجال :** هذا صحيح • فنحن لا نرغب في المزيد من الحمور • وشكراً لك !

**هنا قال الرقيب في تأنيب :** كلام فارغ ! •

**ورفع صوته معلناً فكرة جديدة :** أيها الأصدقاء • لسوف نرسل النساء الى المنازل • فقد حان الوقت ليذهبن للفراش والنوم • ثم نقوم نحن الرجال بعمل احتفال مرح بأنفسنا • وإذا خاف أى رجل من البقاء معنا ، فيمكنه أن يبحث لنفسه عن عمل فى مكان آخر لتأدية أعمال الشتاء !

وعندما انتهى الرقص تجنب جبرييل باتشيبيا الا انه بعث برسالة الى الرقيب طالبا التحدث معه • وكان الرقيب فى تلك الآونة قد جلس خلف المنضدة ، وراح يحتسى الحمور فلم يوافق على مطلبه •

**فقال جبرييل :** لو سمحت أخبره أن المطر الشديد على وشك الهبوط مدراراً ، ولذلك ينبغي أن نعمل أى شىء لحماية أكوام القمح !

**وجاء الرد :** يقول لك المستر تروى أن السماء لن تمطر •• وأنه ليس لديه الوقت لمناقشة مثل تلك المخاوف السخيفة !

فقرر جبرييل الذهاب الى منزله لأنه لم يكن متشوقاً لرؤية مظاهر الاحتفال فى شسونة الغلال • ولكن فى تلك اللحظة نهض تروى واقفاً لالقاء كلمة **فقال :** أيها الأصدقاء •• ليست هذه حفلة عشاء من أجل الاحتفال بموسم الحصاد فقط ، وإنما هى أيضاً من أجل الاحتفال بزواجنا • ولكى يعود كل رجل الى بيته سعيداً فقد أمرت باحضار بعض زجاجات البراندى

الوحيد الواضح تماما الذى يدل على قرب حدوث العاصفة . فغادر منزله وهوول مخترقا ثلاثة حقول ثم نظر من فوق سياج الى قطع اغنامه . كانت الدلائل والبراهين واضحة : فالاغنام لم يبد عليها أى ذعر لدى ظهوره المفاجئ ، لأنها كانت تمر بالفعل بحالة من الذعر الشديد تفوق كثيرا مجرد الخوف من رجل . كما تلاحظ له أنها قد تزاوجت مع بعضها البعض على نحو معين بحيث كانت ذبولها تواجه الاتجاه الذى ستهب منه العاصفة .

وحيثند ادرك جبريل أنه على حق وأن تروى على خطأ . فعاد الى قضاء الشونة حيث كان الكل فى صمت واکوام القمح تقف داكنة فى مواجهة السماء . ثمانية اكوام ! . وطبقا لحساباته كانت تلك الاكوام بمثابة طعمام للانسان والحيوان يقدر ثمنه بحوالى سبعمائة وخمسين جنيها . فهل يغامر ويتركها لتلف بسبب اهمال شخص ما آخر ؟ وقال جبريل لنفسه بصوت مسموع : أبدا لن أتركها لتلف اذا كان باستطاعتى أن أمنعها من التلف !

فغادرت بانتشيبا شونة الغلال فى ضيق وضجر وتبعها جميع الأطفال والنساء . وانسحب الموسيقيون والعازفون فى هدوء خارجين الى عربتهم وانطلقوا فى طريقهم . وظل جبريل واقفا فى الشونة لبعض الوقت لكيلا يبدو وكأنه قليلا الذوق فى نظر الآخرين . وبعدئذ انسحب فى هدوء متبوعا بلعنة ودية من جانب الرقيب لأنه لم ينتظر لحين تناول جرعة أخرى من الخمر .

وعندما وصل جبريل الى المنزل كان قلقا للغاية لدرجة أنه لم يذهب الى سريره للنوم . وظل جالسا لفترة طويلة وقد راح فى تفكير عميق . ان فناء شونة الغلال ليس من اختصاص الراعى . فالراعى غير مسئول عنه . ولكن لم يكن هناك أى شخص آخر مسئول عن الغلال على ما يبدو . وهو بالتأكيد لا يمكن أن يكون مخطئا فى حكمه على الجو . فالسماء قد أظهرت دلائل التحذير ، بل وقد أظهرت ذلك أيضا جميع المخلوقات الوحشية فى الطبيعة .

ثم تذكر شيئا : ان سلوك الاغنام هو الدليل

ولكن دون جدوى أيضا . وكان يدرك أن اللوم لا يقع على هؤلاء الرجال الذين وصلوا الى هذه الحالة المخزية لأن الرقيب تروى هو الذى أصرفى وحشية على أن يشربوا البراندى معه مما اضطرهم الى الموافقة على الرغم منهم . فهم منذ شبابهم لم يعتادوا على تناول شراب أقوى من السيدير أو البيرة . ولذلك كان من الطبيعى أن يتساقطوا هكذا فاقدى الوعى .

وشعر جبرييل بالحزن الشديد لدى رؤيتهم وقد انحدروا الى هذا الوضع . ثم قام باطفاء الشموع المتبقية لأنها من الممكن أن تؤدى الى اشعال الحرائق . وخرج وحيدا مرة أخرى الى الليل الموحش . اذا كان ينبغي انقاذ أكوام القمح فانه سيضطر الى انقاذها معتمدا على نفسه وعلى ساعديه وبديه !!!

وعاد الى الشونة طلبا للمساعدة . كان الكل صامتا فى الداخل . ولكن كان هناك ضوء خافت ما زال يسطع من خلال المدخل . فنظر الى داخل الشونة فشاهد منظرا غير عادى . كانت معظم الشموع قد احترقت حتى النهاية وانطفأت . بينما شموع أخرى كانت ما تزال تدخن وتقطر منها المواد المنصهرة على الأرض . وكان عمال المزرعة مستلقين وفاقدى الوعى تحت المنضدة أو عند أرجل الكراسى . وكان جان كوجان ملقى على ظهره وقد فتح فمه . أما جوزيف بورجراس فكان متكوراً بجسده مثل القط . . وكانت تقط من الماء المسكوب ما زالت تتساقط من فوق المنضدة على رأس مارك كلارك . وكان الرقيب تروى يجلس بينهم جميعا . كان يجلس فى كرسى ملقى ظهره للخلف .

ونظر جبرييل حوله فى يأس . وراح يهز ماتيو مون الذى يقوم عادة بعمل السقوف المصنوعة من القش على وجه السرعة . ولكن الهز لم يأت بنتيجة . فأسقط رأس ماتيو على الأرض . وقام بهز لبيان تول

الهواء بزئير بعيد . وكان ذلك بمثابة البادرة الأولى  
التي تدل على اقتراب حدوث العاصفة . وكان الانعجار  
الثاني للرعده صاخبا وان كان مصحوبا ببرق أقل .

وشاهد جبرييل شمسة تنلأ في غرفة نوم  
باتشيبا ومر ظل بسرعة عبر الستارة . وبعدئذ حدث  
وميض ثالث فاستطاع جبرييل الرؤية عبر الحقول  
لمسافة تبلغ ستة أميال على الأقل . اذ كان كل سراج  
وكل شجيرة وكل شجرة واضحا ، كما لو كان مرسوما  
بالقلم الرصاص على لوحة .

وراحت بعض الماشية الصغيرة تهيج هنا وهناك  
في ذلك الجو المليء بالفوضى ، وتلقى بذبولها لأعلى في  
الهواء ، وتميل برؤوسها نحو الأرض . وبعدئذ اختفت  
الصورة مخلقة وراءها ظلما دامسا . كاملا مما كان  
يضطر جبرييل الى العمل عن طريق التحسس بيديه .

و ضرب البرق التالي الكتلة الحديدية المدببة التي  
كانت مفرورة في السقف المصنوع من القش . وكان  
ذلك أمرا خطيرا . فأحضر سلسلة طويلة وثبت أحد

## الفصل السابع والعشرون

كانت الريح الجنوبية الدافئة ما زالت تهب .  
وكانت هناك سحابة سوداء ضخمة ترتفع في جهة  
الشمال عندما قام جبرييل بجر أربعة أقمشة شراع  
ضخمة عبر الفناء . وسرعان ما تم تغطية كومتين  
عظمتين من كنوز القمح في أمان بعد أن وضع اثنين  
من هذه الأقمشة على كل كومة . وأصبح الأمر يستلزم  
تغطية الكومتين الآخرين فراح يجمع كل القش  
والتجهيزات التي يحتاجها .

وظهر وميض من الضوء عبر السماء ، وامتلا

السلم فى الظلام • فكل لحظة لها قيمتها والوقت الآن  
من ذهب واذا فعلت ذلك ستوفرين على بعض الوقت •  
**فقال فى شجاعة : سأفعل أى شىء لانقاذ**  
**الموقف !**

ووضعت كتلة من القش فوق كتفها وصعدت  
على السلم ثم هبطت لاحتضار كومة أخرى • وومض  
البرق ودوى الرعد مرتين متعاقبتين ، ثم ساد الصمت  
لمدة أربع أو خمس دقائق فاعتقد جبريل أن أسوأ  
مراحل العاصفة قد انتهت • الا أن برقًا فجائيًا تفجر  
**فصاح قائلاً : « انتظري • لا تتحركى • وأمسك**  
**بكتلة القش من فوق كتفها وأمسك بذراعها •**

وعندئذ فتحت أبواب السماء وأصبح البرق  
شديدًا وفجائيًا وله طبيعة خطيرة على نحو لا يصدق  
العقل • ولم يشعر الا بزوجة وعظمة البرق وحماله  
الساحر • اذ كان البرق يتقاذف من الشرق والشمال  
والجنوب وكان بمثابة رقصة موت متقنة • كانت  
أشكال الرجال الموتى تظهر فى الهواء وقد تشكلت

بعيداً عن الناس - ٢٢٣

طرفيها فى الكتلة الحديدية وترك الطرف الآخر متدلياً  
حتى الأرض لكي تصبح بمثابة موصل صواعق متصل  
بالأرض لوقاية المباني من أخطارها • ثم شعر بعد ذلك  
بالأمن والأمان بعض الشيء •

وكشفت موجة البرق الخامسة عن سيده واقفة  
فى الغناء •• **فقال جبريل مخاطباً الغلام :**

- هل أنت الواقفة هنا يا سيدتى ؟ اننى موجود  
هنا فوق السطح لمعالجة السطح القشى للكومة !

- أوه • يا جبريل • لقد أيقظتنى العاصفة •  
وخطر على ذهنى ضرورة القيام بعمل أى شىء لحماية  
القمح • وأنا الآن فى غاية القلق • هل باستطاعتنا  
انقاذ القمح ؟ اننى لم أعثر على زوجى • ولقد وعد بأنه  
سيرعى شئون أكوام القمح •• وما هى جميع الأكوام  
قد أهملت بدون رعاية • هل لى أن أساعدك ؟ ان  
ليدى خائفة ولا ترغب فى الخروج من المنزل !

- يمكنك ان تحضرى لى كومبات من القش  
يا آنسة • كومة وراء كومة • اذا لم تكونى خائفة من

الكومة • **وقال** : يبدو أن العاصفة قد توقفت الآن •  
وذلك بعد أن وقفا للحظات قليلة في صمت •  
واستطرد **قالا** : اننى لا أعرف السبب فى أن الدنيا  
لم تنظر رغم كل هذا الرغد والمواصف ولكن هذا  
كان فى صالحنا • سأسعد مرة أخرى فوق الكومة •

- يا جبرييل • اننى لا أستحق كل هذا  
المطف الذى تشتملنى به •• ولكن لماذا لم يحضر  
الآخرون الى هنا •• ؟

ثم لاحت بذهنها فكرة فجائية فصاحت : آه •  
أنا أعرف السبب • فهم جميعا غارقون فى نوم عميق  
فى الشونة •• نوم عميق ناجم عن كثرة تناول  
الخمور • وزوجى نائم بينهم • وهذا هو السبب •  
اليس كذلك ؟

**فقال جبرييل** : « لست متأكدا من ذلك » • ثم  
ذهب الى الشونة ونظر من خلال شرخ فى الباب ليرى  
ما اذا كانوا لا يزالون هناك • كان الجميع غارقين فى

باللون الأزرق الذى يدل على العظام •• وكانت  
تتراقص وترقص وتتسابق فيما حولها فى فوضى  
وارتباك •• مع ثعابين من النار الحمراء التى تشابك  
وتتداخل وتلف وتدور بينها • وقد استقرت احداها  
فوق قمة القضيب الحديدى الذى وضعه جبرييل ثم  
جرت لأسفل على نحو غير مرئى ثم لأسفل السلسلة  
نحو الأرض • وانسقت شجرة طويلة لا تبعد كثيرا عنها  
ثم اشتعلت بالنيران وفى نفس الوقت صدرت صيحة  
رعدية من كل جزء من اجزاء السماء الهاوية المتحطمة •

وكاد جبرييل يفقد الابصار وكان باستطاعته  
الشعور بذراع ياتشيبا يرتعد فى يده •• احساس  
مثير • الا أن الحب والحياة وكل ما هو انساني  
قد بدا ضئيلا ونافها فى مواجهة مثل هذا الكون  
المجنون • **وقال على وجه السرعة** : لقد كدنا نوت  
ونهلك • من الأفضل أن نهبط وننزل الى الأرض •

ولم تتكلم ياتشيبيا • ولكنه كان يشعر  
بانفاسها تتلاحق بسرعة وتبعها هابطا من فوق قبة



تلك المرأة الأخرى إذا لم أصبح زوجة له في الحال .  
فأصابني القلق الشديد . وبعدئذ اخترت أن أتزوج  
لكي أنقذ نفسي من الغيرة والهجم والقلق الشديد !  
ولم يرد جبريل عليها .

— والآن لا أرغب في سماع كلمة واحدة منك  
تتعلق بهذا الموضوع . بل انني في الواقع أصدر لك  
تعليمات صريحة بعدم التطرق الى هذا الموضوع .  
أتريد المزيد من القش ؟

واستمر العمل في اصرار ولكنها بدأت تشعر  
بالتعب وسرعان ما نصحتها جبريل بالرجوع الى  
منزلها فسكرته جزيل الشكر على كافة جهوده الحميدة  
واختفت متوارية بين طيات الظلام . واستمر جبريل  
في انجاز العمل كأنه يمر بحلم مريع وتمجّب في  
حيرة من سر قلب تلك الأنثى الذي جعلها تتحدث معه  
في دفء وحرارة وعاطفة في هذه الليلة على نحو لم  
يحدث من قبل أثناء حياتها قبل زواجها .

وبينما كان الصباح آخذاً في البروز اشتدت

الظلام الا أنه تمكن من سماع أصوات تنفسهم العميق .  
ثم سمع تنفساً عالياً بجواره . لقد تبعته بانثسيا  
وراحت تنظر من خلال نفس الشرخ .  
وبينما كانا عائدتين للاستمرار في تدعيم السقف  
بمزيد من القش قالت فجأة بصوت رؤين : هل كنت  
تعنقد أنني قد انطلقت بالعربة الى بات في تلك الليلة  
لكي أتزوج ؟!

**فاجاب :** لقد اعتقدت ذلك فيما بعد . . ولم  
أعتقد ذلك في بادئ الأمر .

وقد أدهشها أنها غيرت مجرى الحديث لدى  
القائما بهذا التساؤل .

— لقد اعتقدت أنك تصورت أنني ذهبت لكي  
أتزوج . ولكن الحقيقة ليست كذلك . فالأمور قد  
تطورت بسرعة وحدثت أمور عقب وصولي الى بات  
مما أدى الى زواجي . اذ قال لي أنه قد تقابلت مع  
امرأة أكثر منى جمالا ، وأنه ربما يتحول في حبه الى

برودة وسرعة الهواء . وفي خلال عشر دقائق انطلقت جميع الرياح المحبوسة في السماء وهبطت الأمطار الغزيرة في حماس شديد وأحس جبريل بالمطر ينهمر في داخل ملايسه ، وبعد مرور ساعتين انتهى أخيرا من تدعيم آخر كومة .

وهبط الى الأرض مبللا ومرهقا وحزينا ومكتئبا ولكنه شعر بالارتياح لنجاحه في مهمته . وفي تلك اللحظة ترامت الى سمعه أصوات خافتة قادمة من الشونة ثم خرجت من الباب هياكل تسير في ترونج وبدأت عليها مشاعر الخجل باستثناء شخص واحد كان يرتدي سترة حمراء اللون ، وكان يسير وهو يضع يديه في جيبه ويترنم بالصغير بقه .

بينما كان جبريل عائدا الى منزله تقابل مع المزارع بولدوود فتابدا بالتحية .

**وقال جبريل :** لقد ظللت أعمل طوال الليل لكي أعطي أكوام القمح عندنا بالقش للحماية من

المطر . هل أكوام القمح الخاصة بك ياسيدي محمية وفي أمان ؟

- « اوه . نعم » .

**ولكن بولدوود أضاف بعد لحظات من الصمت :**

عما كنت تتساءل يا أوك ؟

- هل أكوام القمح الخاصة بك مغطاة بالفعل ؟  
اذ ينبغي تغطية الأكوام الكبيرة الموجودة في الغناء بأية طريقة !

- لا انها ليست مغطاة . ولا كوم واحد منها مغطى . فقد نسيت أن اصدر تعليماتي للخطاب بعمل ذلك .

**فقال جبريل :** هذا معناه أن أقل من ١٠٪ من القمح الموجود عندك سيكون صالحا للاستعمال يا سيدي !

وشعر جبريل بالذهول لأن بولدوود قد « نسي » محصوله من القمح على ذلك النحو . فهو ليس

## الفصل الثامن والعشرون

يقع تل يالبرى على الطريق ما بين كامستربردج  
ووذربرى . . والفلاجون العائدون من السوق عادة  
ما ينزلون من عرباتهم ، ويسيروا بجانب خيولهم على  
الطريق الصاعد الطويل .

وفي أحد أيام السبت من شهر أكتوبر كانت  
عربة باتشيبيا تزحف صاعدة فوق ذلك الطريق  
المنحدر ، وكانت تجلس في مقعد المسافر بالعربة  
بينما كان تروى يسير على الأرض بجوارها مرتدياً  
حلة غريبة الشكل .

بالرجل الذى ينسى مثل هذه الأمور الهامة . ولا بد  
أن هذا الرجل بدأ يقاسى من زواج باتشيبيا من رجل  
آخر ، ولا بد أن معاناته فى هذا الصدد أعنف بكثير  
من معاناة جبريل .

وقال بولهوود على نحو يوحى بأنه ياتمن جبريل  
على حفظ الأسرار « يا أوك ، أنت تعرف أن الأمور قد  
سأت معى تماما فى الآونة الأخيرة . والناس يقولون  
أن الآنسة افردين قد فسخت خطوبتها معى . وهذا  
القول بعيد عن الحقيقة . فهى لم تعدنى بالزواج على  
الإطلاق .

ووقف ساكنا ثم التفت فى وحشية نحو جبريل  
واستطرد : أوه . يا جبريل . اننى أشعر بالضعف  
والغيباء . ولا سبيل أمامى للهرب من البؤس  
المحقق بى ؟ . . لقد كان لدى بعض الاعتقاد الواهن  
فى رحمة الله الى أن فقدت تلك المرأة . والآن أشعر  
أنه من الأفضل لى أن أموت . فانا الآن أفضل الموت  
على الحياة آ

يا باتشيبيا .. ولو كنت قد عرفت أن لك قلبا جيانا  
يستتر وراء شجاعتك لما كنت أبدا ... ..

وأضاء وميض من الغضب عيني باتشيبيا  
السوداوين لدى سماعها ذلك التعليق وتلك العبارة  
التي لم تكتمل . ولكن في تلك اللحظة ظهرت امرأة  
فوق قمة التل . ورغم أن الأشجار العالية بأوراقها  
وأغصانها المتدلّية قد حجبت الضوء الخافت المتلاشي ،  
الا ان باتشيبيا تمكنت من مشاهدة ملابسها المتواضعة  
التي تدل على فقرها الشديد والحزن الشديد الذي  
يطل من وجهها عندما اقتربت منها .

- لو سمحت يا سيدي هل تعرف الوقت الذي  
تفلق فيه اصلاحية الأحداث أبوابها ليلا ؟

وأحدثت نبرات صوتها صدمة في كيان تروي  
الا أنه استعاد توازنه وتحكم في مشاعره لكي يمنح  
نفسه من الاستدارة نحوها . وقال لها في ببطء :  
لا أعرف !

وما ان سمعت المرأة صوته حتى نظرت بسرعة

وكان يقول : لولا حدوث ذلك المطر لكنت قد  
ربحت مبلغا كبيرا من المال . فانا لم يحدث في حياتي  
أن شأهدت مثل ذلك اليوم العاصف الوحشي .  
فالخيول والراكبون والناس كانت الرياح تتقاذفهم  
هنا وهناك مثل السفن الماثجة في عرض البحر ، والرأى  
الذي سرت عليه في مراهنتي كان عديم الفائدة تماما .

فكالت باتشيبيا في حزن : أنت خسرت ما يزيد  
على مائة جنيه خلال هذا الشهر بسبب دخولك في  
مراهنات سباق الخيول الشنيعة . أوه يا فرانك انه  
لمن القسوة أن تضيق نقودي على هذا النحو . ولسوف  
نضطر الى ترك المزرعة . وتلك ستكون النهاية . هل  
يمكنك أن تعدني بعدم الذهاب الى سباق الخيول في  
اللقاء التالي ؟

- لماذا ؟ .. اننى أفكر في اصطحابك معي .  
ولكن حضورك لن يغير من الأمر شيئا . لأن مراهنتي  
قد حدثت كلها بالفعل . لقد فقدت كل الحماس

هنا ؟ لقد اعتقدت أنك ذهبت الى مكان بعيد للغاية  
أو انتقلت الى رحمة الله . ولماذا لم تكتبي لى رسائل ؟

- كنت أخاف من ارسال الخطابات .

- هل لديك أية نقود ؟ لا ، هاهو كل المبلغ

الموجود معى الآن . . . وكنت أتمنى أن يكون معى مبلغ  
كبير لكى أقدمه لك . . . اننى فى عجلة من أمرى  
الآن . استمعى الى . هل ستذهبين الى اصلاحية الأحداث  
الموجودة فى كاستربروج ؟ اقضى الليلة هناك وامكثى  
هناك غدا . وفى صباح يوم الاثنين وفى تمام الساعة  
العاشرة قابلينى فوق كوبرى جراى الموجود خارج  
المدينة مباشرة . ولسوف احضر لك كل النقود التى  
استطيع الحصول عليها . فانا لن اتخلى عنك يا فانى . .  
لن أتركك تعانين من العوز والفقر وأنا أعدك بذلك .  
ولسوف أستأجر لك مسكنا فى مكان ما . ومع السلامة  
الآن الى أن نلتقى فى الموعد المحدد . انه لمن القسوة  
ان اتخلى عنك . . . ولكن مع السلامة !

وعندما أسرع فى مشيئته ولحق بباتشيبيا عند

لأعلى وتفحصت جانب وجهه وعرفتته تماما ، فهو  
نفس الجندى ولكنه يرتدى ملابس الفلاحين . وظهرت  
تعبيرات على وجهها تجمع ما بين البهجة والآلام الهائلة  
المريرة وصرخت صرخة هائلة وسقطت على الأرض  
مغشيا عليها .

**فصاحت باتشيبيا : يالها من انسانة مسكينة !**  
وبدأت تستعد للنزول من العربة .

**فقال تروى فى وحشية : عليك بالبقاء فى مكانك**  
وخذى بالك من الحصان !

**واستطرد صانحا عندما ترددت باتشيبيا فى**  
**تنفيذ أوامره : واصعدى بالعربة فوق الطريق المنحدر**  
**. . . وأنا ساتدبر أمر هذه السيدة !**

وبعد أن سارت باتشيبيا بالعربة استدار نحو  
المرأة وقال بصوت غريب وهو يرفعها من الأرض .

- كيف تمكنت بحق السماء من المجيء الى

الا انها شاهدت أضواء كاستربردج تسطع فى خفوت  
على مسافة بعيدة .

**فقالت لنفسها :** أمل أن أتمكن من الوصول الى  
هناك . اذ ينبغي على أن أقابله يوم الاثنين .  
فليساعدنى الله ! .. فلربما أكون مدفونة فى قبرى  
قبل حلول ذلك الموعد !

وراحت تكافح وتناضل . ولم يكن من المتوقع  
لها أن تصل الى المدينة على الاطلاق لولا ظهور كلب  
كبير ضال انضم اليها فى المسير ، وشجعها على مواصلة  
السير . وكان يلحق يدها ويقودها فى طريقها نحو  
المدينة . وعندما خرت واقعة على الأرض بسبب الاعياء  
الشديد ، راح الكلب يجذب ويشد رداها . وأخيرا  
شاهدت الجدران الحجرية لاصلاحية الأحداث تبرز من  
بين طيات الظلام الموجودة امامها . وبجهود خارقة  
وصلت الى باب الاصلاحية وجذبت جبل الجرس . ثم  
سقطت على وجهها فوق الأرض !

وعندما وصلت الساعة الى حوالى السادسة

تمة التل نظرت بحدة فى وجهه وتساءلت هل تعرف  
من كانت هذه المرأة ؟

**فقال وهو ينظر فى عينيها فى جراءة :** نعم اعرفها  
ولكنها لا تمثل شيئا بالنسبة لنا . فانا اعرفها معرفة  
سطحية .. اعرفها عندما يقع بصرى عليها .

- ما اسمها ؟ أعتقد أنك تعرف اسمها ؟

- لا يهمنى ما تعتقدينه . يمكنك ...

واستكمل العبارة بأن هبط بضربة سوط حادة  
على ظهر الحصان مما جعله يقفز فجأة للأمام . ثم  
ساد الصمت بينهما .

وفى تلك الأثناء استمرت المرأة فى سيرها الى أن  
اصبحت لا تقوى على المسير على الاطلاق . فقامت  
بفتح بوابة ودخلت فى احدى كومات القش واستغرقت  
فى نوم عميق . وعندما استيقظت أدركت أن الليل  
حالك السواد حيث لا يوجد أى ضوء للقمر أو النجوم .

## الفصل التاسع والعشرون

وفي اليوم التالي لم يتحدث باتشيبيا وتروى مع بعضهما البعض الا بقدر ضئيل للغاية . ولكنه طلب منها في مساء ذلك اليوم أن تعطيه عشرين جنيها .

**فردت عليه في حزن :** عشرون جنيها ؟ .. من أجل سباق الخيول الذي سيجرى غدا ؟ .. يا فرانك . لقد قلت لي منذ أسابيع قليلة أنني أفضل عندك من جميع مباحك وهوياتك وملذاتك الخاصة .. الآن تتخلي عن السباق في هذه المرة ؟ .. من أجل ؟ ..

صباحا فتح الباب وظهر رجل . فشاهد كومة من الملابس تتحرك في كفاح مرير ، فرجع لاحضار مصباح وعاد معه امرأتان . وقاهوا برفع المرأة من فوق الأرض وساعدها وأدخلوها من باب الاصلاحية .

**وتساءلت احدى المرأتين :** كيف تكنت هي من الوصول الى هنا ؟

**فردت فاني بصوت ضعيف للغاية :** كان هناك كلب .. ولقد ساعدني هذا الكلب . الى أين ذهب الكلب ؟

**فقال الرجل :** لقد طردته بأن القيت عليه حجرا !

- شكرا جزيلاً لك • ولسوف أخرج من المنزل  
مبكراً في صباح الغد وقبل مجيئك لتناول طعام  
الافطار •

ونظر الى ساعته أثناء الكلام • ثم فتح علبة  
الساعة بدون تفكير • وعندئذ شاهدت باتشيبيا كتلة  
صغيرة من الشعر مخبأة في داخل العلبة •

فتساءلت في دهشة وحب استطلاع : إيه •  
فرانك ! شعر من هذا ؟

وهنا أغلق تروى علبة الساعة على الفور وقال :  
- انه شعرك بالطبع !

فصاحت باتشيبيا : يا لها من كذبة ! يا فرانك  
انه شعر أصفر اللون ! •• شعر من هذا ؟ • أود  
أن أعرف الحقيقة !

- حسناً •• سأقول لك الحقيقة • انه شعر فتاة  
شابة كنت على وشك الزواج منها قبل أن أتقابل  
معك • ولن أقول لك اسمها •

أترك يا فرانك هذه المراهات • ووافق على رأى  
بمطالبك الغامضة يا فرانك !

وكانت تبدى له أقصى ما لديها من جوانب  
الرقرة ، فقرر أن يريح ذهنها بشأن هذه النقطة فقال  
لها : انى لا أريد هذه النقود من أجل المراهة !

- اذن لأى شىء تريد هذه النقود ؟ فانت تعلقنى  
بمطالبك الغامضة يا فرانك !

فتردد تروى • ولم يكن يرغب فى ذكر الحقيقة  
لها •

فقال لها : انك تسيئين الى بسبب هذه الشكوك  
التي تبدينها !

فقال فى ابتسامة باهتة : لكى أدفع النقود يكون  
لدى الحق فى توجيه بعض الأسئلة القليلة •• ولكننى  
لدى هنا عشرون جنيتها من أجل النقود على شئون  
المنزل • فإذا كان الأمر يستلزم ضرورة حصولك على  
هذا المبلغ فلا مانع عندي •



يدها على ذراعه بصوت يجمع بين البؤس والاقنصاع :  
اننى أشعر بالأسف اذا كنت لا تحبني أكثر من أية  
امرأة أخرى فى العالم بأسره . أنت لا تريد أن تحرق  
تلك الحصلة من الشعر . وهذا معناه أنك ما زلت معجبا  
بصاحبة ذلك الشعر الجميل . نعم انه شعر جميل . .  
وأجمل من شعري أنا . حسنا . لا دخل لى لكونى  
قبيحة المنظر . ما باليد حيلة . . ويجب عليك أن تحبها  
أكثر منى اذا كنت ترغب فى ذلك .

**وتوقلت للحظات ثم استطرقت متسائلة :** ومن  
هى تلك المرأة التى قابلناها على الطريق ؟ . . فذلك  
الشعر هو شعرها . اليس كذلك ؟  
- نعم . وأنت الآن تعرفين السر الخاص بى .  
وأمل أن تكونى الآن مستريحة وراضية !

**فقالت وهى تنظر فى وجهه بدون خوف :** وما هى  
تلك الارتباطات والروابط التى ذكرتها ؟ . . قل لى  
الحقيقة الكاملة يا فرانك . . انا لست مغفلة أو غيبية  
رغم اننى امرأة . هيا وتعامل معى فى صدق وأمانة !

- وهل هى تزوجت ؟

- لا .

- وهل هى جميلة ؟ . . انها لا يمكن أن تكونى  
جميلة اذا كان لها شعر ذو لون رهيب على ذلك النحو .  
ينبغى عليك أن تحرق ذلك الشعر يا فرانك . هل  
ستحرقه ؟

**فقال تروى :** لماذا ؟ انه شعر جميل . لا تكونى  
غيبورة الى هذه الدرجة يا باتشيبيا . لقد كنت تدركين  
أبعاد الحياة الزوجية . وما كان ينبغى عليك أن تدخلى  
فى الحياة الزوجية اذا كنت تخافين من مجرد اكتشاف  
شئ فجائى مثل هذا الشعر . فهناك اعتبارات تجب  
فى المرتبة الأولى . وتفوق فى أهميتها مشاعرى نحوك .  
فأنا لدى ديون شرف ناجمة عن لعب القمار . . ولدى  
ارتباطات لا تعرفين عنها شيئا . فاذا كنت تأسفين  
الآن على الزواج منى فأنا أشعر كذلك بالأسف على هذا  
الزواج !!

فدبت القشعريرة فى كيان باتشيبيا ووضعت

- لن تشاهدني فاني رو بين مرة اخرى يا سيدتي .  
فهى ترقد الآن ميتة فى اصلاحية الاحداث فى  
كاستربردج !

- فاني قد ماتت ؟ مستحيل ! وما هو سبب  
وفاتها ؟

- لا أدري . . فهى طوال حياتها كانت فتاة ضعيفة  
البنيان . وقد دخلت اصلاحية الاحداث فى صباح  
الأمس . وكانت مريضة للغاية . وكانت فى حالة من  
الاعياء الشديد حتى أنها ماتت فى مساء نفس اليوم .  
وهم يقولون أنها انطقت مثل الشمعة . وهى وفقا  
للقانون تنسى للأبرشية الخاصة بنا ولذلك سيقوم  
المستر بولدوود بارسال عربة لاحضار جثمانها ولسوف  
يتم دفنها فى فناء كنيستنا فى الساعة الخامسة !

- لن ادع المستر بولدوود يقوم بمثل هذه  
الاجراءات . اذهب اليه وقل له ان السيدة زوجة  
تروى ستقوم بهمة احضار جثمان الحادمة التى كانت  
تعمل فى خدمة أسرتهسا . ثم جهز عربتي الجديدة

أريد العدالة المجردة وذلك هو كل ما أريده فانا فى  
يوم ما كنت أريد أن أكون زوجة لرجل يعاملنى كأننى  
ملكة متوجة . والآن أصبحت قانعة بأى شىء باستثناء  
ممارسة القسوة على . نعم فباتشيبا المتفاخرة القوية  
الشخصية قد هبطت بشخصيتها الى هذا الحد !

**فقال تروى بصوت غاضب : بحق السماء**  
لا تتكلمى معى بمثل هذا العنف والوحشية !  
ثم نهض واقفا وغادر الحجرة . .

وفى صباح اليوم التالى استيقظت باتشيبا من  
النوم مبكرة أكثر من الوقت الذى اعتادت أن تتفقد فيه  
المزرعة وهى ممتطية حصانها . وكان تروى قد انطلق  
ذاهباً الى كاستربردج . وتناولت هى طعام الافطار  
وحدها . وبعدئذ أخذت تتجول وقد اعتزمت أن تنزله  
سيراً على الأقدام . وفى تلك اللحظة طهر جوزيف  
بورجراس عند البوابة حاملاً معه سلة مليئة بالتفاح  
وعندما شاهدها وضع سلة التفاح على الأرض **وقال لها**  
فى حزن عبر البوابة :

الحادى عشر مع المستر تروى . وكان المستر تروى يعرفه جيدا . اذ قال انه كان يحبه أكثر من أى رجل آخر فى الجيش . بل وقال انه كان هناك تشابه كبير بينه وبين ذلك الشاب الآخر لدرجة أن . . .

**فقاطعتها باتشيبيا** وقد انتابها ذلك الضيق العصبى الذى ينجم عن الاعياء والشك :  
- كفى عن الكلام بحق السماء يا ليدى !

الصغيرة ذات الجسم الأزرق والعجلات الحمراء . واذهب بنفسك فى تلك العربة . وخذ معك مجموعات كبيرة من الورد والزهور لكى توضع على نعشها وعلى قبرها .  
- سأفعل ذلك يا سيدتى !

**وقالت بعد تفكير عميق** : يا ليتنى قد علمت فى وقت مبكر بدخول قانى اصلاحية الأحداث . منذ متى دخلت الاصلاحية ؟

- منذ الأمس فقط . وهم يقولون أنها عندما هربت من هنا وتركنا ذهبنا لتعيش بالقرب من تكتات خاصة بالجيش . وبعد ذلك التحقت بالعمل فى ميلشستر . ومن المعتقد أنها سارت على طول المسافة من هناك الى الاصلاحية .

وهنا شحب وجه باتشيبيا فجأة . ثم رجعت الى منزلها ونادت على ليدى : لقد كان حبيب فانى جنديا .  
اليس كذلك ؟

- نعم . لقد كان جنديا فى سلاح الفرسان الملكى

يالجرى حتى أطبق عليه الضباب من كل جانب تساما .  
وكان الصمت المخيف المريع يرزف فوق كل شيء ،  
فتمنى لو كان معه رفيق . . حتى ولو كان ذلك الرفيق  
مجرد طفل أو كلب . ولكن حانة فندق رأس الغزال  
كانت تقع على مسافة قريبة منه الى ما وراء الغابة .  
وسرعان ما شاهد لافتة الحانة ، فأوقف حصانه  
ودخل . وحينه الوجوه البشوشة لكل من جان كوجان  
ومارك كلارك .

**فقال** : أريد تناول مجرد مشروب واحد وبعدئذ  
سأواصل المسير . فقد أحضرت معي فاني روبين  
المسكينة في العربة الموجودة بالخارج ، وينبغي على أن  
أصل الى بوابات فناء الكنيسة في تمام الساعة الخامسة  
الا ربعا !

**فقال مارك كلارك** : هذا هو ما سمعناه . ولكن  
فيما العجلة ؟ . . يمكنك أن تجلس وتستريح وتشرب  
ما تريد بدون تسرع .

فاتنح جوزيف بذلك القول وجلس مطمئنا .

## الفصل الثلاثون

وعندما دقت الساعة الثالثة وصل جوزيف  
بورجراس الى اصلاحية الأحداث ودق الجرس . ففتح  
الباب . وقام رجلان بوضع النعش الخشبي البسيط  
في العربة . ثم قام أحدهما بكتابة اسم فاني على  
النعش بالاضافة الى كتابة بعض الكلمات الأخرى  
بقلمة من الطباشير . ونثر جوزيف أزهاره فوق  
النعش وانطلق على الطريق عائدا الى وذربري .

وقبل أن يقطع نصف المسافة في طريق العودة  
الى وذربري ظهرت سحب كثيفة من الضباب البحري  
وراحت تتدحرج فوق التلال . وما أن وصل الى غابة

بورجراس . وأنت يا جان وأنت يا مارك . كان ينبغي عليكما أن تقدرا الموقف بشكل أفضل !

الا أنه لاحظ على الفور أن كلامه لم يؤد إلى النتيجة المرجوة حيث كان الرجال الثلاثة في حالة لا تسمح لهم بقيادة العربة .

وعندما وصل جبرييل إلى وذبري مع الجثمان ، كانت الدنيا قد اظلمت تماما فقرر الكاهن تأجيل مراسم الدفن إلى اليوم التالي . وكانت باتشيبيا توبه في بادئ الأمر ترك الجثمان في الكنيسة إلا أنها غيرت رأيها ، وأمرت بنقل الجثمان إلى داخل المنزل . فقام جبرييل بمساعدة ثلاثة من الرجال بوضع الجثمان على منضدة في غرفة الطعام .

وعندما انصرف الرجال الثلاثة ظل هو واقفا هناك في تردد وراح ينظر إلى الكلمات المكتوبة بالطباشير على غطاء النمش : **فاني رويين وطفل** . فقام بمحاولة أخيرة لانقاذ باتشيبيا من التعرض للأحزان

وبعد أن تناول مشروبه الثاني **قال** : ينبغي على أن أوصل السير الآن !

ولكنه اقتنع بالبقاء لتناول مشروب ثالث . وبعد أن فرغ من تناول مشروبه الثالث نهض واقفا **وقال** : سيكون كاهن الكنيسة واقفا في انتظاري .

**ولكن جان كوجان قال** : يا جوزيف لا تشعر بالنعاسة على هذا النحو . فالكاهن لن يتضايق بسبب انتظاره أبدا . فهو رجل شغوف القلب . اجلس يا رجل !

فجلس جوزيف . وكلما ظل جالسا لفترة أطول أحس أقل بتأنيب الضمير .

وتوالت الثواني والدقائق . وتعمقت الظلال . وعندما دقت ساعة الحانة معلنة الساعة السادسة سمعوا وقع أقدام مسرعة بالخارج ، ثم دخل جبرييل أوك إلى الحانة . **وقال جبرييل في حدة ووحشية** : انني أشعر بالحجل بسبب تصرفاتك يا جوزيف

**فقلت ليدى وهى تنظر اليها فى دهشة : لا . .**  
ولا كلمة واحدة . وما الذى يجعلك تبكين على هذا  
النحو ؟ . هل هناك أى شىء يؤذى مشاعرك ؟

ولكن باتشيبيا لم توضح السبب الذى أدى الى  
انفجارها بالبكاء . فذهبت ليدى الى سريرها . ثم  
عادت مرة أخرى بعد عشر دقائق **وقالت على وجه  
السرعة .**

— لقد سمعت ماريان كلاما عجيبا . انها قصة  
خسيسة تفيد أن . . .

ثم أفضت فى همس بباقي العبارة فى آذن  
سيدتها . وعندئذ ارتعدت باتشيبيا من رأسها الى  
أخمص قدميها **وصاحت : لا أصدق هذا الكلام ! ولا**  
يوجد سوى اسم واحد مكتوب على غطاء النعش .

ثم استدارت لتخفى وجهها فغادرت ليدى الغرفة  
فى هدوء شديد .

وراحت باتشيبيا تمنع النظر فى النيران لبعض

والآلام الفورية حيث راح يمسح بمنديله الكلمات  
وكلمة طفل ، ثم غادر المنزل فى هدوء .

وفى وقت متأخر من ذلك المساء دخلت ليدى الى  
غرفة الجلوس **وتساءلت : هل تريد منى أن أطل**  
منتظرة لحين عودة سيدى ؟ فانا لست خائفة من جثمان  
فانى . فهى كانت تشبه الطفلة حتى أن شبحتها لن  
يسبب المتاعب لأى شخص . وأنا واثقة من ذلك !

**فقال باتشيبيا : أوه . لا داعى لذلك . اذهبي**  
انت للنوم يا ليدى . وسوف أطل مستيقظة حتى  
الساعة الثانية عشر فى انتظار المستر تروى . فاذا لم  
يصل بحلول الساعة الثانية عشر سأذهب للفراش  
للنوم .

ثم أضافت فى همس ممزوج بالاضطراب : هل  
سمعت أى كلام غريب عن فانى ؟

وما أن تساءلت بهذا السؤال حتى انفجرت بأكية  
بالدموع .

وحدث اضطراب عقل شديد لباتشيبا حتى أنها راحت تبحث عن وسيلة للهرب . ثم ركعت بجوار النعش وظلت الحجر ساكنة فى صمت لبعض الوقت . وبعدئذ نهضت واقفة ثم راحت تنشر الورد حول رأس الفتاة الميتة كدليل على مشاعر العفو والتسامح . وققدت الاحساس بالزمان والمكان والاحساس بما كانت تفعله . وأخيرا فتح الباب الأمامى وأغلق فى صوت مرتفع ، فعاد اليها الوعي والادراك . وسمعت وقع أقدام ، ثم ظهر زوجها فى المدخل وحملق فى دهشة فى المنظر المائل أمامه . ولم يخطر على باله مطلقا موضوع قاتنى . وخطر على ذهنه لأول وهلة أن شخصا ما بالمنزل قد مات .

**فقال وقد بدا عليه أنه لا يعرف أية أخبار :**  
حسن . . ماذا حدث . استحلفك بالله أن تقولى لى من ذا الذى مات ؟

**فقالت باتشيبا بسرعة :** يجب أن أذهب الآن !  
وحاولت أن تدفعه لتسر من جواره ولكنه أمسك

بعيداً عن الناس - ٢٥٥

الوقت . ثم قالت فجأة بصوت مرتفع : أوه يا فانى يا ليتك قد تكلمت معى وافضيت لى بسرك ! لو كان باستطاعتى النظر اليك لدقيقة واحدة قصيرة لعرفت كل شيء !

**ومرت لحظات قليلة ثم اضافت فى بطء :** سافعل ذلك .

ثم أحضرت مفكا وسرعان ما أصبحت واقفة بجوار النعش المكشوف فقالت لنفسها : كان من الأفضل معرفة أسوأ الأمور . وأنا أعرف الحقيقة الآن !

وبينما كانت واقفة هناك ارتعد جسدها وغطى الضباب على عينيها وشعرت وكان مطرقة تدق ذهنها **وقالت :** أوه . اننى أكرهها ! . . ومع كل فانه من الحسرة والندالة أن أكرهها . لو كانت قد عاشت لكننت قد أصبحت غاضبة منها وقاسية عليها ، ولكنى اذا عاملت امرأة ميتة على هذا النحو فكأننى أعاقده نفسى . يا الهى . الرحمه يا الهى !

ولو لم أقم فريسة للشيطان الذى اغوانى عندهما  
شاهدت وجهك لكنك قد تزوجتها . وباليتنى قد  
تزوجتها . ولكن فات أوان ذلك الآن . . وأنا استحق  
الحرق فى جهنم على جريمتى هذه !

ثم استدار نحو فانى وقال لها : ولا يهيك  
يا أعز حبيبة لى . فأنت زوجتى الحقيقية أمام الله !  
وما أن سمعت باتشيبا ذلك الكلام حتى صدرت  
عن شفيتها صرخة طويلة باهتة فى يأس لا نهائى وهى  
تقول له : إذا كانت هى على ذلك النحو فمن أكون أنا ؟  
فقال تروى فى قسوة : أنت لا شىء . بالنسبة  
لى . . لا شىء بالمرّة . فالمراسم التى تتم أمام القسيس  
لا تعقد زواجا . فانا لست زوجك من الناحية الأخلاقية  
والمعنوية !

وعندئذ شعرت باتشيبا أن لديها الرغبة الملحة  
فى الهروب منه ومن كلماته . فاستدارت نحو الباب  
وخرجت الى غياهب الليل الحالك .  
وسارت لبعض الوقت فى الحارة الظلمة الى أن

يدها واقترب من النعش وهو ما زال ممسكا يدها .  
فشاهد شمعة تلقى بالضوء الخافت على الوجين  
الباردين لامرأة وطفلها . فامعن النظر وترك يد زوجته  
ووقف ساكنا دون حراك . ثم انحنى فى بطء فوق  
جسد فانى روبين وقبلها فى رفق كما لو كان يقبل  
طفلة نائمة !

وما أن شاهدت باتشيبا وسمعت هذا المشهد  
حتى فقدت السيطرة على نفسها فألقت بذراعيها حول  
رقبته وصاحت فى جنون : لا . لا تقبلها ! أوه  
يا فرانك . لا أستطيع تحمل ذلك ! اننى أحبك أكثر  
من حبها لك ! قبلنى أنا أيضا يا فرانك . قبلنى !  
لسوف تقبلنى بالتأكيد يا فرانك . قبلنى أنا أيضا !

وفك تروى ذراعيها من حول رقبته ونظر إليها  
فى دهشة بالغة . وقال وهو يدهنها بعيدا عنه : لن  
أقبلك . لقد كنت رجلا سيئا أسود القلب ولكن هذه  
المرأة تهمنى أكثر منك . حتى وهى غارقة فى موتها ،  
وهى أفضل منك فى الماضى والحاضر والمستقبل . .



المرأة هي ليدي سمولبرى وخرجت من الغابة لالقاء  
التحية عليها .

وقالت أو حاولت أن تقول حيث قد فقدت  
صوتها بسبب الاستلقاء فى هواء الليل المشبع  
بالرطوبة : أوه ، ليدي . لا توجهى لى آية أسئلة .  
أريد منك فقط أن تخبرينى عن شيئين : هل زوجى  
موجود الآن بالمنزل ؟ .. وهل هم قد نقلوا جثمان فانى  
لتدفن فى الكنيسة ؟

- لقد خرج المستر تروى من المنزل قبل خروجى  
أنا مباشرة . وهم على وشك نقل جثمان فانى خلال  
فترة قصيرة . ولقد أخبرت جميع الناس أنك لست  
على ما يرام . وهم يعتقدون أنك موجودة فى غرفة  
نومك بالدور العلوى . أوه يا سيدتى اننى لمسرورة  
للغاية لأننى عثرت عليك !

- شكرا لك يا ليدي . لسوف نعود الآن الى  
المنزل فى هدوء عن طريق الشارع الخلفى . ولا أستطيع  
أن أحكى لك ما حدث بينى وبين زوجى . ولكنى

وصلت الى بوابة تؤدى الى غابة صغيرة . فدخلت الى  
الغابة وعثرت على مكان محمى بين بعض الشجيرات  
فهبطت على الأرض واغلقت عينها .

وكان أول صوت تسمعه لدى استيقاظها هو  
تغريد طائر واقف فوق غصن أعلاها . ثم ترمى اليها  
من الطريق صوت أغنية مرحة يتغنى بها صبي يقود  
خيل الحراثة . ثم سمعت بعد ذلك وقع أقدام ثقيلة .  
وعندما نظرت من خلال الشجيرات شاهدت اثنين من  
خيولها يتوقفان لشرب الماء من بركة ماء عند جانب  
الطريق .

كانت تباشير الصباح قد بدأت تظهر لتوها وكان  
ضباب الصباح معلقا فوق الحقل .

وظهرت خطوات أخرى . وكان السائر على  
الطريق فى هذه المرة تلميذا قد علق فى كتفه حقيبة  
غدايه وأمسك فى يده كتابا . وهو هو الآخر فى طريقه  
الى مدرسته . ثم ظهرت امرأة من على مسافة نشعرت  
بانثيبيا بالارتياح عندما تبين لها بعد لحظات أن تلك

## الفصل الحادى والثلاثون

وأين كان الرقيب تروى فى تلك الأثناء ؟  
عندما غادرت زوجته المنزل فى منتصف الليل  
عكف أولا على تركيب غطاء النعش ، ثم ألقى بنفسه على  
سريره بدون أن يخلع ملابسه وراح يسترجع فى ذهنه  
تسلسل الأحداث فى ذلك اليوم حيث قرر أن يظل  
مستيقظا حتى الصباح .

لقد انطلق بالعربة الى كاستربرج ومعه العشرون  
جنيها التى أخذها من بانثيبيا بالاضافة الى سبعة  
جنيهات أخرى كان قد ضمه الى العشرين جنيها .

يا ليدى أقول لك شيئا هاما : وهو أنك إذا تزوجت  
فى أى وقت من الأوقات . . وأمل ألا تتزوجى على  
الاطلاق . . ستجدين نفسك فى موقف مخيف ومرعب .  
وهندئذ لا ينبغى عليك أن تلوذى بالفرار والهرب .  
فالنساء اللاتى ليس لديهن اعتزاز بالنفس عن فقط  
اللاتى يلجأن للهرب . عليك فقط بالبقاء فى المكان  
الذى تقيمين فيه وعرضى نفسك للتقطيع اربا اربا .  
وذلك هو ما سافعله !

الاطلاق لتلقى الصدمة الرهيبة التي كانت تنتظره لدى دخوله من باب منزله .

وما أن ظهرت الملامح الأولى للصباح حتى خرج من المنزل وذهب الى فناء الكنيسة وشاهد القبر الذي حفر من أجل فاني . وبعدئذ ذهب بسرعة الى كاستربردج سيرا على الأقدام وأصدر تعليماته بأعداد بلاطة الضريح (وهي الشاهد الذي يوضع على الضريح) لكي توضع على قبرها في نفس ذلك اليوم وقد بلغ ثمن تلك البلاطة سبعة وعشرين جنيها .

وفي تلك الليلة عاد الى فناء الكنيسة متسللا ومتخفيا لكيلا يراه أحد نثر الزهور حول بلاطة الضريح التي كانت قد نقشت عليها هذه الكلمات : هذا الشاهد قد وضع على هذا القبر بمعرفة فرانسيس تروى تعبيرا عن حبه الأبدي لفاني روبين وتخليدا لمذكارها العطرة . ثم انسل خارجا من فناء الكنيسة دون أن يراه أحد وانطلق سسيرا على الأقدام سالكا الطريق المؤدى الى البحر .

وكان قد وصل الى كوبري جرای في الساعة العاشرة الا خمس دقائق لكي يقابل فاني في الموعد المحدد معها . وكان مبلغ ال ٢٧ جنيها موجودا في جيبه .

ولكن فاني لم تحضر في الموعد المتفق عليه . فظل واقفا لمدة نصف ساعة أخرى ولكنها لم تحضر فخطر على ذهنه أن هذه هي ثاني مرة تعطيه فيها موعدا ولا تحضر في الوقت المحدد رغم أهمية الموعد معه . فأقسم في غضب الا يرتبط معها في أى موعد آخر بعد ذلك ، وقفز عائدا الى عربته ، وانطلق متجها الى سباق بادماوث للخيول .

ولكن ضميره استيقظ واقتنع بضرورة عدم انفاق نقوده هناك . الا أن الدنيا كانت قد اظلمت قبل مفارقتها بادماوث . وفي طريق عودته الى منزله ، خطر على ذهنه لأول مرة أن المرض ربما هو الذي منع فاني من الحضور اليه في الموعد المحدد بينهما . وبدأ يشعر بالأسف والحزن لأنه لم يسأل ويتحرر عنها في كاستربردج . الا أنه لم يكن مهتما أو مسعدا عل

يشاهد فيما حوله أى زورق • وخارت قواه تماما بسبب محاولاته المستميتة للرجوع نحو الشاطئ •

ولكنه شاهد أخيرا زورقا صغيرا يجدف فيه العديد من البحارة الشبان ، فراح يلوح لهم ويصيح • ومن حسن حظه أن الشمس الغاربة قد اظهرت بوضوح جسده الأبيض المتلاطم فوق المياه الداكنة فشاهده الرجال على الفور • فأخذوا يجدفون فى اتجاهه وفى خلال خمس دقائق ابتداء من ضيخته الأولى كان هناك اثنان من البحارة يجذبونه ليلقوا به الى داخل زورقهم •

وكان هؤلاء البحارة يمثلون جزءا من طاقم سفينة تجارية وكانوا يجمعون المثونة اللازمة لهم • فأعطوه بعض ما عندهم من ملابس • وقرروا انزاله على الشاطئ فى الصباح ثم استأنفوا تجديدهم عبر الخليج فى اتجاه سفينتهم •

وامتد غيابه من الساعات الى الأيام ، فشعرت باتشيبا بالدهشة والارتياح فى آن واحد • الا ان

وكانت هناك عوامل كثيرة حفزته الى ترك وذبرى منها اشمزازاه من الحياة الريفية والذكريات الحزينة المترتبة على موت فانى والرغبة فى الهرب من زوجته • وراح يتجول الى أن ظهر أمامه شاطئ البحر فى نهاية الأمر • وبدأ ينزل على الصخور المنحدرة منجها الى خليج صغير محمى من الأمواج • وكان قد وضع فى خطته أن يستريح ويستحم فى ماء البحر قبل الذهاب الى أى مكان أبعد من ذلك • ثم خلع ملابسه وغطس فى الماء •

ولكن المياه فى تلك البقعة كانت هادئة للغاية بحيث لا تقرى السباح على العموم : فراح يسبح خارجا من فم الخليج الى المياه المتلاطمة • ومن سوء حظه كان هناك تيار قوى ، فجرفه التيار الى اليسار ثم ألقى به الى دائرة واسعة فى عرض البحر •

وهنا فقط تذكر أن ذلك المكان له سمعة سيئة حيث لقى الكثير من السباحين حتفهم هناك • ولم

حيث كان ذلك الرجل يقف في تلك الآونة بجواره .

**فقال الرجل :** لقد غرق زوجها خلال هذا الأسبوع أثناء استحمامه في خليج لولويند . فقد عثر رجل من حرس السواحل على ملابسه وأحضر الملابس الى بادماوث بالأمس !

وأضأت نيران غريبة عيني بولدوود وأحمر وجهه بالانثارة . وساعدها على النهوض من فوق الأرض ونقلها الى حانة جيوش الملك حيث وضعها في رفق في غرفة خاصة . وهناك فتحت عينيها وقالت في تمتمة :

— أريد الذهاب الى منزلي !

وغادر بولدوود الغرفة ووقف في الطرقة ليسترد أنفاسه . فالتجربة كانت هائلة للغاية بحيث لم يتمكن من استيعابها . لقد احتواها بين ذراعيه على مدى تلك اللحظات القليلة السماوية ! وعثر آنثذ على حصانها وعربتها وعرض عليها أن يجلب لها سائقا لكي يسوق لها العربة أو يسوق هو بنفسه لتوصيلها الى منزلها . ولكنها رفضت تلك المقترحات في رقة وأدب

شعورها بالارتياح لم يدم طويلا . وفي أول يوم سبت يحل عقب اختفائه ذهبت باتشميبا بفردها الى كاستربرج . وبينما كانت تخرق الجماهير المحتشدة خارج السوق ، سمعت شخصا غريبا يقول :

— اننى أبحث عن السيدة زوجة تروى . هل هي الموجودة هناك ؟ لدى انباء حزينة أريد أن أطلعها عليها : لقد غرق زوجها في الماء ! .

**فصاحت لاهثة الأنفاس :** لا . ليس هذا صحيحا !

وبعدئذ لم تقل وام تسمح أى كلام آخر . فقد تحطم ضبط النفس الذي تحلت به على مدى الأيام القليلة الماضية . وأظلمت الدنيا في عينيها وسقطت «تهاوية بدون أن ترتس على الأرض تماما ، حيث تقدم رجل حزين الوجه بسرعة نحوها ، وأمسك بها قبل أن تسقط تماما على الأرض . وكان ذلك الرجل هو بولدوود .

ونظر بولدوود نحو الرجل الغريب مستفسرا منه

وظلت باتشيبا واثقة تماما من أنه ما زال حيا حتى حلول يوم الاثنين ، حيث حدث أمران أثارا الشكوك في ذهنها . الأمر الأول كان بمثابة خطاب مرسل من طبيب شاب الى الجريدة المحلية . فقد ذكر أنه كان يمر جوار الصخرة أثناء غروب الشمس فشاهد سباحا يكافح ضد التيار خارج بوغاز خليج لولويند فأدرك على الفور أن ذلك الشخص المسكين ليس أمامه سوى فرص ضئيلة للغاية فى النجاة . وما أن وصل الطبيب الى مكان آخر يشاهد منه المنظر بشكل أفضل حتى أصبح الظلام سائدا بحيث لم يصبح فى مقدوره مشاهدة أى شىء .

والأمر الثانى هو وصول ملابس تروى مع وجود حروف فى الجيوب تبين شخصيته . كان من الواضح أنه قد خلع ملابسه وهو يعتزم تماما ارتدائها مرة أخرى بعد أن ينتهى من الاستحمام . ولكن فلنفرض أنه قد سار وراء فانى الى العالم الآخر بشكل متفقد ولكنه قد لجأ الى هذه الوسيلة لى يبدو موته وكأنه جا على هيئة حادثة . كان هذا أمرا ممكنا . الا أن هذا

وأصرت على أن تسوق العربة بنفسها كالمعتاد وكان شيئا لم يحدث على الإطلاق .

وفى وقت متأخر من ذلك المساء جاءت اليها ليدى بينما كانت هى جالسة عند نافذة غرفة نومها . وتساءلت ليدى فى شىء من التردد : أينبغى علينا أن نحضر لك بعض الملابس السوداء اللون من أجل أن تظهرى احترامك للرجل الميت ؟

فردت باتشيبا بسرعة : لا .. لا .. ليس الآن . فلا داعى لذلك . لأنه لا يزال على قيد الحياة !

فتساءلت ليدى فى دهشة : وكيف عرفت ذلك ؟

فقالت باتشيبا : لا أعرف . ولكنهم لم يعثروا عليه . كما اننى أتوقع أن يكون ماته مختلفا عن هذه النوعية من الوفاة . وانى لوائية تماما من أنه لا يزال على قيد الحياة !

## الفصل الثانى والثلاثون

ومر الحريف والشتاء واستمرت باتشيبا فى اشرافها على سير العمل بالمرزعة . ولكنها كانت قد فقدت الاهتمام بهذه الشئون وأخيرا كلفت جبرييل بالعمل كمدير للمزرعة .

وبعد ذلك بفترة قصيرة وجّه بولدوود الدعوة لجبرييل لكى يدير له المزرعة السغلية أيضا . فرفضت باتشيبا فى بادىء الأمر ، ولكنها عادت فوافقت على ذلك . وقالت أنه يمكن لجبرييل أن يدير المزرعتين بسهولة اذا خصص له حصان لنقله بسرعة بين المزرعتين . وبالطبع تجددت آمال بولدوود فى الزواج

لم يجيب عن باتشيبا احتمالا آخر . وهو احتمال أقل شؤما بالنسبة لتروى وأكثر شؤما بالنسبة لها .

وفى وقت متأخر من ذلك المساء كانت باتشيبا جائسة بمفردها بجوار النيران . وأمسكت ساعة تروى التى أعيدت إليها مع ملبسه ، وفتحت الغطاء الموجود أسفلها مثلما فعل هو ذلك أمام ناظرها مند أسبوع . وهناك وجدت خصلة الشعر الصفراء الصغيرة التى أشعلت هذا الانفجار الهائل مثل الشرارة .

**فكالت لنفسها :** كان هو ملكها وكانت هى ملكا له . وأنا لا شئ بالنسبة له أو بالنسبة لها . فلماذا ينبغى على الاحتفاظ بشعرها ؟

وأمسكت كتلة الشعر فى يدها ورفعتها فوق النيران . **ولكنها أصافت قائلة وهى تسحب يدها :** لا . لن أحرق هذا الشعر . سأحتفظ به تذكارا لها . تذكارا لتلك الفتاة المسكينة !

من باتشيبا . وطبقا للقانون لا يعتبر تروى ميتا الا بعد مرور سبع سنوات على اختفائه وبعد ذلك يمكن لباتشيبا الزواج مرة أخرى . وانتظر بولدوود الفرصة لكي يذكر هذه الحقيقة ثم جاءت فرصته ذات يوم من أيام فصل الصيف .

وكان تروى قد سافر لمسافات بعيدة منذ اختفائه . فالسفينة التي أنقذه رجالها ، كانت بحاجة الى بحار آخر فانضم تروى الى طاقم السفينة التي قامت برحلة الى الولايات المتحدة . فراح ينتقل من مكان لآخر في أمريكا ويكسب رزقه عن طريق تعليم المهارات التي كان قد اكتسبها في الجيش . الا أنه بعد شهور قليلة بدأ يكره هذه النوعية من الحياة وظلت فكرة العودة الى مزرعة وذربري العليا تراوده حيث يمكنه العيش في مسكن مزود بكل وسائل الراحة .

وبحلول منتصف الفترة الصباحية كانت آلاف الأغنام الوافدة من جميع أرجاء وسيكس قد تجمعت هناك حيث كان كل قطيع يتجمع في حظيرة مستقلة تحرسها كلاب الحراسة الخاصة بالقطيع .

وعند الطرف الآخر من المتاريس الدفاعية الترابية ، كان يتم انشاء خيمة كبيرة مفتوحة من أحد الجوانب لكي تضم أفضل المتساعدين من أجل مشاهدة العرض المسرحي . وبالقرب منها كانت هناك خيمتان

وأخيرا عاد الى انجلترا بطريق البحر ولكنه ما ان هبط على شاطئ ليغربول في شهر يوليو حتى بدأت تساوره الشكوك . فباتشيبا لم تكن هي المرأة التي

٢٧٣



شخصاً ما من وذربرى قد يتعرف عليه . ولكن ها هي باتشيبا موجودة بنفسها والسحر والجمال يشعان منها كالاعتاد . ولم يكن يتوقع منها أن تمارس كل هذا النفوذ عليه بنفس هذه السرعة .

وبعدئذ أحس بالحجل من نفسه فجأة لأن هذه الزوجة الشابة الجميلة التي تحتقره بالفعل سوف تحتقره أكثر وأكثر اذا اكتشفت انه يعمل في هذه الوظيفة المتواضعة مع الفرقة المتجولة .

وراح تروى يفكر بسرعة . وعثر بسرعة على مدير الفرقة وقال له : يوجد بين المشاهدين هناك رجل لا أحب أن أراه . فأنا مدين له بنقود . . . ولسوف يتخذ اجراءات القاء القبض على بمجرد . أن أفتح فمي للتكلم وأنا على خشبة المسرح . فما العمل ؟ هل يمكن لك أن تعلن أن تورين قد أصيب ببرد شديد وأنه سيقوم بالدور بدون أن يتكلم ؟

فهز المدير رأسه رافضاً وقال : لن أقول لهم أى شىء . عليك فقط أن تقدم لجمهور المشاهدين بعض

تعالى فى صمت . فكيف يمكنه تحمل العيش معها ؟  
وإذا فشلت المزرعة فانه سيصبح مسئولاً عن الاحتفاظ بها واعاشتها . ويا لها من حياة عسيرة اذا عاش معها فى فقر مدقع بينما شبح فاني الموجود دائماً بينهما يثير أعصابه ويلهب كلماتها بالمرارة والحسرة !

ولذلك فقد أجل عودته الى المزرعة وعندما تقابل مع مجموعة من العازفين المتجولين قرر الانضمام اليهم . وفى العرض الذى كان سيقدم فى جرينهيل بعد ظهر ذلك اليوم الدافئ من شهر سبتمبر . كان تروى سيقوم بدور ديك تورين قاطع الطرق الشهير !

وعندما نظر تروى من خيمته الخاصة بخلع الملابس ، أصيب بالهلع والصدمة عندما شاهد زوجته جالسة مثل الملكة المتوجة فى وسط صفوف المقاعد العالية الثمن . ورغم أن ملابس التمثيل التي يرتديها والمكياج الذى يضعه على وجهه يخفيان شخصيته ، الا أن زوجته سوف تتعرف عليه بالتأكيد من خلال صوته . لقد أقدم على هذه المخاطرة وهو يدرك أن

من خيمة تقديم المشروبات الخفيفة . وكانت تتحدث مع بولدوود الذى كان قد أحضر لها توا كوبا من الشاي . فدار تروى حول الخيمة من الخارج فى الظلام الى أن أصبح واقفا خلف مقعدها تماما وراح ينظر فى حرص وحذر من خلال فتحة فى قماش الخيمة . وكانت قريبة للغاية من تلك الفتحة حتى أنه كان باستطاعته أن يلمسها .

وفى تلك اللحظة دخل بنيويز الى الخيمة واتجه الى باتشيبيا مباشرة **وقال لها** : لو سمحت . لدى أبناء خاصة تهكم وأود أن أقولها لك وحدك فى أذنك !

**فردت عليه فى برود** : لا أستطيع سماع أى شىء الآن . وكان قد اعتاد على أن يفضى لها بالأسرار دائما محاولا التقرب اليها من خلال تحطيم سمعة الآخرين . **فقال لها** : سأكتب لك هذا الخبر الهام فى ورقة .

وجذب ورقة من مفكرة وكتب فيها : زوجك موجود هنا فى هذا المكان . فقد شاعده بنفسى . فمن هو المغفل الآن ؟

النظرات القليلة الخفية والابتسامات الماهرة فى الأماكن السلية . وعندئذ لن يعرفوا مطلقا أن الكلام قدضى تماما .

وكان هذا الرد معقولا من الناحية العملية نظرا لأن عنصر الاثارة كان يكمن فى الحركة أساسا وسارت الامور على ما يرام . وشعر تروى بالارتياح عندما انتهى المشهد التمثيلي . ولكن كان هناك عرض آخر فى المساء تحت ضوء المصابيح . وفى هذه المرة لاحظ فجأة أن بنيويز مدير المزرعة السابق عند زوجته قد تعرف عليه .

وعندما انتهت المسرحية . خرج تروى وراح يبحث فيما حوله . فمن الحكمة أن يبحث عن بنيويز ويتصدق معه اذا أمكنه ذلك . وكان قد وضع لحيمة كثيفة على وجهه وأخذ يبحث بين جماهير المشاهدين . ثم حصل الظلام وبدأ الناس يستعدون للانصراف الى بيوتهم ومنازلهم . ولم يعثر على بنيويز ولكنه سرعان ما اكتشف باتشيبيا حيث كانت جالسة فى ركن هادى

وكانت باتشيبيا آنشد تستعد لقيادة عربتها  
للعودة الى منزلها . وعندما عرض عليها بولدوود أن  
يركب حصانه ويسير الى جوارها لم ترفض . اذ كانت  
مذعورة للغاية مسا حدث لها في خيمة المشروبات  
الخفيفة ، حيث ظنت أن المص قد اعتقد أن تلك الورقة  
هي ورقة بنكنوت وربما يحاول السطو عليها مرة  
أخرى أثناء عودتها عبر الطريق .

ونظرا لأن جبريل كان لا يزال مشغولا بإنجاز  
محتون المزرعة فانها قد حمدت الله على وجود بولدوود  
بجوارها لحمايتها . وبعد أن قطعا ميلين أو ثلاثة أميال  
تحت ضوء القمر تبادلوا أثناءها التعليقات المتفرقة من  
وقت لآخر قال بولدوود فجأة وبكل بساطة :

- يا سيدة تروى . هل ستتزوجين مرة أخرى  
ذات يوم ؟ وشعرت بالارتباك بسبب هذا السؤال  
الفجائي . فظلت صامتة لبعض الوقت ثم قالت : اننى  
لم أفكر حديا في هذا الأمر . اذ لم يتأكد موت زوجي

ثم طوى الورقة وقدمها لها . وعندما لم تمد  
يدها لأخذ الورقة فانه ألقى بها على ركبتيها وخرج من  
الحيمة .

فقال باتشيبيا في غير اهتمام وهي تلتقط  
الورقة :

- أوه . حسن . ربما ينبغي على قراءتها !

وكانت الورقة المطوية في يدها اليسرى . وعندما  
ناولها بولدوود طبقا مليئا بالخيز والزبد فانها مدت  
يدها اليمنى وأنزلت يدها اليسرى بجوارها . وعندئذ  
جاءت اللحظة المناسبة لتروى . وبسرعة البرق دفع  
يده في الفتحة الموجودة في قماس الحيمة وخطف  
الورقة من بين أصابعها وانطلق مهولا بين طيات  
الظلام وهو يبتسم لدى سماعه صرخة الدهشة التي  
أطلقتها . وبعد دقائق قليلة عثر على بنوايز فهمس  
له بكلمات قليلة . ثم انطلقا سويا .

سأتزوجك فى نهاية السنوات الست فانتى سأحاول  
ان أقدم لك ذلك الوعد فى وقت قريب .

- ربما هذا الوقت القريب لا يجيىء أبدا .

- لا . أقصد فى وقت قريب وليكن فى  
الكريسماس !

**فصاح :** فى الكريسماس ! حسن . لن أتطرق  
الى هذا الموضوع مرة أخرى لحين حلول الكريسماس !

على الاطلاق وربما لا يزال على قيد الحياة . ولدى  
احساس غريب بأنه لم يفرق فى البحر ، ولذلك فانا  
أخجل الآن من التفكير فى الزواج مرة أخرى !

وظلا صامتين لبعض الوقت . **وبعدئذ قال**

**بولودود :**

- ولكنك تعرفين أن باستطاعتك الزواج مرة  
أخرى فى خلال ست سنوات اذا لم يظهر دليل واضح  
يؤكد وفاته . فاذا انتظرتك حين انتهاء السنوات الست  
هل تتزوجيننى ؟ .. أرجوك يا باتشيبيا أن تعدينى  
بدلك . أرجوك أن تعدينى بانك اذا تزوجت مرة أخرى  
أن تختارينى زوجا لك !

وكان صوته يموج بالاثارة الشديدة حتى أنها  
أصبحت على وشك الحوف منه فى تلك اللحظة حتى  
أثناء تعاطفها معه . **فصاحت فى قلق :** اوه . ماذا  
سأفعل ؟ اننى لا أستطيع مطلقا أن أحبك على النحو  
الذى ينبغى أن تحب الزوجة زوجها . ولكننى اذا  
استطعت أن أدخل عليك السعادة بمجرد أن اعدك اننى

الموجودة في الصالة الطويلة . ولكن رغم كل هذا كانت روح المرح مفتقدة ، كما لو كان هناك شبح ما يحوم في جميع أرجاء الغرف معلنا أن الاحتفال لا يتلائم مع المكان ومع الشخص الذي يعيش وحيدا هناك .

وما أن كاد بولدوود يفرغ من ارتداء ملابسه ، حتى وصل إليه جبرييل ومعه تقريره اليومي عن سير العمل في المزرعة .

**فقال : أوه . . يا سيد أوك .** يداي ترتعشان قليلا ولا أستطيع ربط رباط العنق على نحو سليم . فهل يمكنك أن تربط هذا الرباط نيابة عني ؟ وبعد أن انتهى جبرييل من ربط الرباط استنرد **بولدوود قائلا في نشاط محموم : هل المرأة بوجه عام تفي بوعداها يا أوك ؟**

- قد لا تفي بوعداها إذا كان الوعد غير ملائم لها !

**فقال بولدوود :** لقد سألت السيدة الفردين عما إذا كانت ستتزوجني عقب مرور سبع سنوات على وفاة

## الفصل الثالث والثلاثون

وفي المساء السابق على يوم الكريسماس ، أقام بولدوود احتفالا . وقد دهشت القرية كلها لدى الاعلان عن ذلك الاحتفال . كما لو كانوا قد سمعوا أن قاضيا محترما سيصعد على خشبة المسرح ، أو أن مباريات الكرة ستقام في الكنيسة .

ومما لا شك فيه أن ذلك الاحتفال كان يقصد به أن يكون احتفالا مرحا . وراحت النيران الهائلة في مطبخه تزار طوال النهار أثناء اعداد الوليمة وبمعدن أشعلت النيران في قطع الاخشاب المكسدة بالمدفأة

وبينما كان بولدوود منهمكا في الترحيب بضيوفه  
كان الرقيب تروى جالسا في أحد أركان حانة الحصان  
الابيض في كاستربردج يدخن التبغ ويشرب الخمر .  
وفتح الباب ودخل بنيوايز .

**فتساءل تروى :** هل قابلت المحامي ؟ ألم يكن  
بالمنزى ؟ ذلك أمر مثير للضيق . ولكنى لا أعرف نوع  
الخطأ الذى يمكن أن يرتكبه أى رجل اذا أظهرت  
الدلائل أنه قدلقى حتفه غرقا ، ثم اتضح بعد ذلك  
أنه لم يميت غرقا !

**ثم ضحك ولكنه أضاف فى شيء من القلق :**  
هل تعتقد أن هناك أمورا تدور حقا بينها وبين  
بولدوود ؟ . وهل هى شجعتة على تكوين علاقة معها  
على نحو ما ؟

- حتى الأمس لم أسمع عن أنها ستحضر الحفلة التى  
سيقيمها الليلة . وهم يقولون أنها اذا حضرت الحفلة  
ستكون هذه هى أول مرة تدخل فيها منزله . ويقولون  
أيضا أنها لم تتحدث معه على الإطلاق منذ أن قابلته فى

زوجها . فوعدتنى بالرد على سؤالى هذا فى هذه  
الليلة . . . وهناك شيء آخر أريد أن أذكره لك . ان  
نصيبك من الأرباح التى حققتها هذه المزرعة ضئيل  
ل للغاية . وأنا انوى التخلي تماما عن ادارتى لمزرعتى فى  
يوم ما . ولذلك فانا أريد منك أن تكون شريكا لى فى  
الايادات فى حالة تركى لمهمة اشرافى على المزرعة .  
وبعدئذ اذا تزوجتها . . .

**فقال جبريل فى تسرع :** لا تتكلم فى هذا الموضوع  
يا سيدى . فنحن لا نعرف ما ستسفر عنه الامور . . .  
وسأحاول أن أكون هنا لكى أحضر الحفلة . ولكنى قد  
أناخر فى الحضور حيث لا يزال أمامى بعض الأعمال التى  
ينبغى انجازها !

وبعد انصراف جبريل اخرج بولدوود صندوقا  
صغيرا من درج مغلق بالقفل ، ونظر فى داخل  
الصندوق . لقد كان يحتوى على خاتم نسائى مرصع  
بالماس . وبعدئذ سمع أصوات عجلات عند الواجهة  
الامامية للمنزل فوضع الصندوق بعناية فى جيبه ثم  
هبط نازلا الى الدور الاول لاستقبال ضيوفه .

الشحاذين .. وعلاوة على ذلك فقد نفذ السهم وفسات  
الوقت . فبعد ظهر هذا اليوم شاهدني الكثير من الناس  
وتعرفوا على شخصيتي . كان ينبغي على أن أعود إليها  
عقب سوق الأغنام مباشرة ولكنني سمعت كلامك عن  
القانون وعن حقها في الانفصال عنى .

— حسن أيها الرقيب كل ما يمكنني أن أقوله لك  
الآن هو : لو كنت أنا مكانك لذهبت الى خسارج البلاد  
مرة أخرى . وآثرت عدم ائارة المتاعب من أجل الرغبة  
في العيش معها . يا الهى . سوف تحدث متاعب هائلة  
إذا رجعت إليها الآن أثناء احتفال بولدوود بالكريسماس !

**فقال الرقيب تروى وهو يضحك ضحكات خفيفة:**

نعم . فانا أتوقع أن أكون ضيفا تقيلا إذا كانت هي  
موجودة هناك في الاحتفال . وعلى حد تعبير نص جاء في  
احدى المسرحيات [ وعندما أدخل عليهم سيجلس  
الضيوف في صمت وحسوف وستتلاشى كل الضحكات  
ومشاعر البهجة والسرور وستتحول الأضواء الى اللون  
الأزرق ! ] . أوه . انه لأمر مخيف ! املا كاسي بالشراب  
يا بنيوايز فجسدي كله ينتفض بالرعب !

يعيداً عن الناس - ٣٨٧

سوق جرينهيل . والواحد منا لا يعرف ما هي الامور  
التي يصدقها .. ولكنني متأكد من أنها غير مفرمة به !

**فقال تروى :** انا غير متأكد من ذلك . ينبغي  
على أن أذهب الآن على الفور للعثور عليها .

وقفز واقفا على قدميه وارتدى معطفا ثقيلًا رمادى  
اللون .

وعندما قلب ياقة المعطف لأعلى ، كادت أن تصل  
الى القبة التي كان قد جذبها لأسفل فسوق اذنيه .  
**وقال :** ما رأيك في منظرى الآن يا بنيوايز ؟ لن يتمكن  
أحد من التعرف على الآن .

وراح بنيوايز يتفحصه في تفكير **وقال :** ولماذا  
لا تكتب لها خطابا ؟ .. ان حياتك الماضية كلها ستقفز  
الى الضوء اذا عدت إليها .

**فقال تروى في غضب :** كلام فارغ ! .. ها هي  
موجودة هنالك ومهما قدر وافر من التقود ، ولديها  
مزرعة وخبول وتنم بالراحة وهانذا أعيش هنا مثل

وأمسك بالكأس وأفرغ الخمر في حلقة • واستطرد  
قائلا : الساعة الآن السادسة والنصف • لسوف أصل  
الى هناك قبل التاسعة •  
ثم غادر الفندق عقب الادلاء بهذه الكلمات •

## الفصل الرابع والثلاثون

عند الحديقة الامامية لمنزل بولدوود كان يقف  
مجموعة من الرجال في الظلام ، وقد تركزت عيونهم نحو  
الباب الذي كان يفتح من وقت لآخر للسماح بدخول  
أحد الضيوف •

وقال أحد هؤلاء الرجال معلقا في همس : لقد قال  
الولد أنه قد شوهد في كاستربريدج بعد ظهر هذا اليوم  
وأنا أصدق كلام هذا الولد • حيث لم يتم العثور على  
جثمانه على الاطلاق كما تعرفون • فاذا كان لا يزال على  
 قيد الحياة واذا كان موجودا في هذه المنطقة فمن المؤكد



المتعلقة بالرقيب تروى ؟ ٠٠ نعم لقد حدثنى عنها لبيان  
تول توا ٠ وها هوذا قادم نحونا على ما اعتقد ٠ هل  
سمعت أية أخبار أخرى يا لبيان ؟

**فقال لبيان وهو ينضم للمجموعة :** لا وأدعو الله  
أن يكون الخبر كاذبا ٠٠ لأنها كانت عادلة معى دائما  
رغم أن هنرى قرأى وبعض الأشخاص الآخرين يقولون  
كلاما ضدها ٠ صحيح أنها فناة حادة المزاج ولكنها  
شجاعة ولا تكذب على الاطلاق مهما أضرت الحقائق بها ٠

**فقال وليام سمولبرى :** انيا لا تكذب على النساء  
على الاطلاق وتلك حقيقة واضحة ٠ وهى تنتقد الانسان  
فى مواجهته وليس من وراء ظهره ٠

ووقفوا فى صمت ٠ كان كل رجل مشغولا  
بأفكاره الخاصة به ٠ وبعدئذ فتح الباب الامامى مرة  
أخرى وظهرت تحت الضوء الخطوط الخارجية المألوفة  
لهيكل معروف ٠ وسار ذلك الهيكل فى بطاء على  
الممر ٠ فهمس سام قائلا : انه السيد ٠ يستحسن

انه يضع الخطط الآن لاثارة المتاعب ٠ يا لها من انسانة  
مستكينة ٠ اننى أشفق عليها اذا كان هذا الخبر  
صحيحا !

وتوقف عن الكلام لدى سماعه صوت وقع أقدام  
**ثم قال :** مرحبا ٠ من القادم ؟

فرد هيكل فى الظلام وهو يتقدم نحوهم وينضم  
اليهم : أنا وليام سمولبرى ٠ انها ليئة مظلمة ٠ اليس  
كذلك ؟ فقد كدت ألا لاحظ اللافتة التى تقع عند  
المجرى المائى والموجودة هنالك فى الوادى ٠٠ ولم يحدث  
لى ذلك من قبل على الاطلاق ٠ هل يوجد بينكم واحد  
من رجال بولدود ؟ اذ يخيل لى اننى سمعت صوت سام  
سامواى ؟

**فقام سام :** نعم ٠ نحن جميعا من رجاله ٠

**ثم أضاف فى همس :** هل سمعتم هذه القصة  
الغريبة ؟ ٠

**فقال وليام وهو يخفض من صوته :** تقصد القصة

اعتقد أن تلك الحيات قد انتهت منذ فترة طويلة .  
كان ينبغي علينا أن نحكي له على الفور القصة التي  
سمعناها . وقد يلحق به المزيد من الأذى والضرر على  
نحو أكثر مما كنا نتصور . مسكين المستر بولدوود .  
سيكون الأمر صعبا بالنسبة له . لكم تمنيت أن يكون  
مضير تروى في الجحيم ! ولعل الله يفقر لي هذه  
الأمنيات . . ولكنه رجل شرير وخسيس ، لأنه يلعب  
الحيل الدنيئة على زوجته المسكينة . ولقد ساءت جميع  
الأمور في وذبرى منذ أن جاء إليها . وأنا الآن ليس  
لدى الرغبة في حضور الحفلة . هيا بنا نذهب الى  
الحانة لقضاء بعض الوقت أولا . أيمكن ذلك  
يا اخواني ؟!

فوافق سام وليبان ووليام على الذهاب معه . أما  
الباقيون فقد دخلوا الى المنزل . وكان وليام يسبقهم  
قليلا لدى وصولهم الى الحانة . وفجأة توقف عن المسير  
والتفت الى زميله وقال : صه ! انظرا هنالك !

كان الضوء المنبعث من أحد نوافذ الحانة يسطع  
فوق وجه قريب من الزجاج . لم يعد بمقدور أحد أن

أن ننتظر في هدوء الى أن يدخل . فهو قد يعتقد أنه  
من غير الملائم أن تقف هنا هكذا تحت الأشجار !

ومر بولدوود بالقرب منهم بدون أن يراهم .  
ثم توقف عن المسير واستند على البوابة وأخذ نفسا  
عميقا . وبعدئذ سمعوه يقول : ادعو الله أن تحضر والا  
ستكون هذه الليلة بؤسا وشقاء بالنسبة لي !! . لماذا  
يا حبيبتى تسببين لي الحيرة والشك على هذا النحو ؟

وظل واقفا في مكانه هناك الى أن ترامى اليه  
صوت عجلات خفيفة هابطة التل . ثم توقفت العربية  
عند البوابة . وعندئذ أسرع عائدا الى الباب وفتحه .  
وسطع الضوء على باتشيبيا وهي قادمة على المر . وكبح  
جماح مشاعره الفياضة أثناء ترحيبه بها ، وسمع  
الرجال ضحكاتها الخفيفة واعتذاراتها لدى مقابلتها  
له . وبعدئذ اصطحبها الى الداخل وأغلق الباب مرة  
أخرى .

وصاح واحد من رجال بولدوود : يا الهي ! لم  
أكن أعرف أن الأمور تسير على هذا النحو ! لقد كنت

وعندما رفض وليام القيام بهذه المهمة اضطر  
ليبان الى الموافقة على القيام بها على مضض . وما أن  
وصلوا الى المنزل حتى دخل ليبان بمفرده . ولكنه  
خرج من المنزل بعد دقائق قليلة قائلا لهم أنه لم يجد  
الشجاعة التي تعينه على التكلم .

**فقال سام في تعاسة :** يستحسن أن ندخل  
جميعا الى المنزل . فلربما تنساح لي الفرصة لابلغ  
السيد !

ودخلوا سويا الى المنزل .

يشك في صحة الرواية التي سمعوها . فقد كان الوجه  
هو وجه تروى .

وما أن تعرفوا عليه حتى هزلوا راجعين نحو  
منزل بولدوود . **وتساءل سام :** ماذا ينبغي علينا أن  
نفعل ؟

**فقال وليام في شيء من الشك والتريبة :** لا شأن  
لنا بهذا الموضوع !

**فقال سام في اصرار :** ان هذا الموضوع يهمنا . .  
بل ويهم كل شخص . فتحزن نعرف جيدا ان سيدنا  
موقفه ضعيف وندرك جيدا انها لا تعرف شيئا عن  
ظهور تروى في المنطقة . لذلك ينبغي علينا ان نبلغها  
فورا . . يا ليبان . . أنت تعرفها بشكل أفضل ولذلك  
ينبغي عليك ان تتكلم معها في هذا الشأن .

**فقال ليبان في عصبية :** أنا لا أصلح للقيام  
بمثل هذه المهمة . وينبغي على وليام أن يفعل ذلك  
فهو أصلح من أي فرد آخر بيننا . وهو أكبر سنا .

– اننى أود الانصراف الآن • لو سمحت لى !

وكانت تبدو عصبية لأنها قد تذكرت الوعد الذى قطعته على نفسها • وتخيلت الكلام الذى كان على وشك النطق به •

**وقال بوكوود :** لقد كنت أنتظر الفرصة لكى أتحدث معك على انفراد •• هل تعرفين ما أريد أن أقوله لك ؟

فوقفت صامتة تنظر الى الأرض • فتسائل فى **الجاح وشغف :** هل ستقدمين لى وعدك ؟ •• ستعدينى بأن تزوجينى لدى انتهاء السبع سنوات من تاريخ اختفائه تروى !؟

**فقالت باتشيبيا فى بطنه :**

– أنا لا أعرف ما هو الشيء الصحيح وليس لدى شخص ينصحنى باتباع ما هو صحيح • ولكنى أعيدك • إذا كان ينبغى على أن أعيدك الآن !

## الفصل الخامس والثلاثون

وكان الرقص قد بدأ لتوه فى الصالة الطويلة • ولم تكن باتشيبيا موجودة هنا. إذ كانت قد قررت البقاء لمدة ساعة • وبعدئذ تتسلل منصرفه بدون أن يلحظها أحد • وبعد مرور ساعة ذهبت باتشيبيا الى غرفة الجلوس الصغيرة التى تقع فوق السلالم لكى ترتدى معطفها • وما أن وصلت الى تلك الغرفة حتى جاء اليها سيد المنزل **وقال لها :**

– يا سيدة تروى •• هل من المعقول أن تذهبي الآن ؟ فنحن لم نبدأ الاحتفال الا منذ لحظات !؟

**وعندئذ قال :** وأنت ستقبلين هذا كهدية مني .

فصاحت لدى مشاهدتها ذلك الشيء الموجود في يده . ما هذا ؟ لا أستطيع أن ألبس خاتما . فأنا لا أحب أن يعرف أحد ما وعدتك به . وعلاوة على ذلك فنحن لسنا مخطوبين بالمعنى المفهوم من الخطبة . هل نحن مخطوبان ؟ . لا تصر على هذا يا مستر بولدوود . لا تصر !

ولكنه أمسك بيدها اليمنى ووضع الخاتم في أصبعها وهو يقول . البسي الخاتم في هذه الليلة فقط . لمجرد ادخال السرور الى نفسي !

**ووافقت وقالت :** حسن اذن سألبس الخاتم في هذه الليلة فقط اذا كنت ترغب بشدة في ذلك .

وشعرت انها غير قادرة على المقاومة اكثر من ذلك **فقالت :** والآن اترك يدي ودعني اذهب .

**فقال بولدوود :** هانذا اترك يدك . اننى أشعر بالسعادة الآن . بارك الله فيك !

— اذن قولى لى بصراحة شديدة الآن . قولى أنك سوف تتزوجيننى عقب انتهاء ذلك الوقت .

**فصاحت فى ضيق وعصبية :** أوه . لست أدري . دعنى اذهب لو سمحت . . اننى قد أنتهك القانون أو القواعد واللوائح التى تسير عليها الكنيسة . نظرا لأن موت زوجى هو أمر مشكوك فيه . دعنى أستطلع رأى أحد المحامين فى هذا الشأن يا مستر بولدوود !

— أوه . باتشسيبا . قولى لى تلك الكلمات يا حبيبتى . تعهدى بأن تكونى من نصيبي ! فأنا أحبك أكثر من أى شخص آخر فى العالم . واذا كنت تعرفين مدى عذق الحب الذى أكنه لك لما تركتيني أعانى كل هذا العناء !

فانفجرت باكية بالدموع وبعد أن استعادت السيطرة على نفسها **قالت فى وقار :** وأنت لى تتوسل الى وتناشدنى أو تطلب أى شىء آخر اذا وافقت ؟ حسن للغاية . اذا لم يعد زوجى سأزوجك بعد ست سنوات اعتبارا من تاريخ هذا اليوم !

السيدة تروى الى الدور الأول . فإذا كنت تريد أن تقول لها فيستحسن أن تقول لها الآن !

وفي تلك اللحظات حدث طرق شديد على الباب وفتح أحد الرجال الباب وذهب الى الخارج ثم رجع وقال : هناك شخص غريب يريد مقابلة السيدة تروى .

**فقال بولدوود : قل له يتفضل بالدخول .**

ووصلت الرسالة . وعندئذ وقف عند مدخل المنزل الرقيب تروى متدترا وملفوا حتى عينيه بالمعطف الكبير . وأولئك الذين كانوا قد علموا توا بوجوده في المنطقة قد تعرفوا عليه على الفور . أما باقى الناس فقد نظروا اليه في حيرة . ولم يلاحظ أحد وجود باتشيبيا حيث كانت تقف مستندة على جانب السلم وكان وجهها شاحباللغاية ، وكان فيها مفتوحا في دهشة وعيناها تحمقان في الزائر .

وكان بولدوود من بين الناس الذين لم يدركوا أن ذلك الرجل هو تروى . فصاح مرحبا : تفضل أيها

ثم غادر الغرفة . وبعد لحظات قليلة تبعته باتشيبيا نازلة على السلالم وقد ارتدت معطفها وقبعتها استعدادا للانصراف من المنزل . ولكنها قبل أن تنصرف توقفت عند أسفل السلم لكي تلقى نظرة أخيرة على تجمعات الناس . وكانت الموسيقى والرقص قد توقفا في تلك اللحظات . وعند الجانب الآخر من الصالة كانت هناك مجموعة من الناس تتحدث في همس وبنظرات قلقة . وشاهدتهم بولدوود فتساءل عما إذا كان قد حدثت أمور تفكر الصغو .

**فقال سام سامواى : أنه أمر قد سمعه لبيان .**  
وذلك هو كل ما في الأمر !

**فتساءل بولدوود في شيء من الحدة : ما الذى سمعت عنه يا سامواى ؟ إذا كان لديك أى شيء تريد أن تقوله ، فقله على الفور . وإذا لم يكن لديك شيء ابدأوا في رقصة أخرى .**

**وقال سام موجهها كلامه الى لبيان : لقد ز**

**ثم قال :** تعالى أيتها المرأة • هل تسمعين ما أقول ؟

وهنا صدر صوت مترام من عند موقد النيران •• صوت أجوف يجيء من بعيد كما لو كان قد تردد في أرجاء كهف عميق • ولم يعرف أحد أنه صوت بولدوود الا بصعوبة • فاليأس الشديد الفجائي قد أحدث تغييرا هائلا في طبيعة كيانه كله •

- يا باتشيبا • اذهبي مع زوجك !

ولكن باتشيبا لم تحرك ساكنا • لم تكن قد تعرضت للاغواء • ولكن عقلها كان خاليا تماما من الأفكار • وعندما مد تروى يده ليجذبها نحوه تراجعت هي للخلف • ويبدو أن اظهارها للخوف قد أغضب تروى حيث أمسك بها من ذراعها وجذبها بشدة • ولا أحد يعرف ما اذا كانت قبضته قد ألتها أو ما اذا كان مجرد لمسها لها هو السبب • ولكنه عندما أمسك بها فانها لوت جسدها كما لو كانت تشعر بالآلام ثم صرخت سريعة منخفضة •

الشخص الغريب •• وتناول معنا مشروبا بمناسبة الاحتفال بالكريسماس !

فتقدم تروى الى منتصف الغرفة وخلع قبعته وأنزل ياقة معطفه وحملق في وجه بولدوود ثم انخرط في الضحك • وعندئذ عرفه بولدوود على الفور •

وعندما التفت تروى الى باتشيبا كانت حالتها قد وصلت الى درجة من البؤس والشقاء تجل عن الوصف • اذ خارت فواها وتداعت وجلست هابطة على اخر سلمة كما لو كانت تسائل نفسها عما اذا كان الامر كله بمثابة حلم رهيب •

**وهنا تكلم تروى :** يا باتشيبا • لقد جئت الى هنا من أجلك !

قلم ترد عليه •

- تعالى معي الى المنزل • تعالى !

فحركت باتشيبا قدميها قليلا ولكنها لم تنهض واقفة • فاتجه تروى نحوها •

الماسورتين . وكان قد تمكن من ربط منديله مع زناد  
اطلاق النيران حتى يتمكن من اطلاق البندقية بقدمه  
وكان يصوب الماسورة الثانية للبندقية نحو صدره .  
وكان سام سامواى هو أول من شاهد هذا المنظر  
فانطلق نحوه بسرعة . وكانت قدم بولدوود قد بدأت  
تجذب المنديل بالفعل فدوت البندقية بالانفجار  
مرة أخرى . ولكن سامواى ضرب البندقية بقبضة يده  
فى اللحظة المناسبة فأطاح بالرصاصه الثانية نحو  
السقف .

**فقال بولدوود لاهشا : حسن . هناك وسيلة**

**أخرى أموت بها !**

وأفلت هاربا من سام وعبر الغرفة نحو باتشيبيا  
ثم قبل يدها . وبعدئذ فتح الباب وخرج الى الظلام  
ولم يفكر أحد فى منعه . فسار فى ثبات وعزم ووصل  
الى كاستربردج قبل حلول منتصف الليل . وجذب  
الجرس الموجود خارج بوابة السجن . وعندما جاء  
البواب قال له بولدوود كلاما بصوت منخفض فسمح  
له بالدخول ثم اغلقت البوابة مرة أخرى .

وبعد صراخها بثوان قليلة حدث صوت فجائى  
يصم الأذان . وهز الصوت الغرفة وملاها بالدخان .  
وعندئذ اتجهت جميع العيون فى دهشة نحو بولدوود .  
ف فوق موقد النيران الموجود وراءه كانت هناك خطاطيف  
معقوفة تمسك ببندقيتى رش كما هو معتاد فى البيوت  
الريفية . وعندما صرخت باتشيبيا وهى فى قبضة يد  
زوجها . حدثت تغيرات على وجه بولدوود اليأس .  
وأطلت من عينيه نظرة مجنونة . فاستدار بسرعة  
واختطف احدى البندقيتين وأطلق النار مباشرة على  
تروى .

وسقط تروى على الأرض . وكانت المسافة  
قصيرة للغاية بين الرجلين . حتى أن الرصاصه لم  
تنتشر وانما مرت كالقذيفة فى داخل جسده . فأطلق  
تهيدة طويلة جافة وتقلصت عضلاته فجأة ثم ارتخت .  
وبعدئذ تمدد على الأرض ساكنا .

ومن خلال الدخان شاهده الناس بولدوود .  
وكان لا يزال منهمكا ومشغولا ببندقيته ذات



السرچ فوق حصان وانطلق مسرعا . وبعد أن قطع مسافة تزيد على ميل خطر على ذهنه أنه كان ينبغي عليه إيفاء أى شخص آخر .

ترى ماذا حدث لبولدوود ؟ .. هل فقد عقله وحين جنونه ؟ .. أم هل كانت هناك مشاجرة ؟ .. ومن أين جاء تروى بعد أن افترض الجميع أنه قد استقر فى قاع البحر ؟ .. وادرك أن الوقت لا يسمح بإيفاء مندوب آخر نيابة عنه فاستمر فى انطلاقه بالحصان ولم يلاحظ أثناء مشاعر الاثارة التى اجتاحتها أن هناك هيكلا ما مألوفاً له يجوس فى الظلام فى نفس الاتجاه التى يسير هو فيه .

وبعد أن عثر جبريل على الطبيب قرر أن يبلغ الشرطة . ولذلك انطلق الدكتور الدريتش بمفرده . ودهش للغاية عندما أدرك أن باتشيبيا قد قامت بنقل الجسد الى بيتها بدلا من الانتظار لحين مجيء الضباط القائمين على تنفيذ القوانين . وأخبرته خادمة : انها قالت أنها لن تترك جثمان زوجها العزيز ملقى هكذا على الأرض وعرضة لحملة الناس فيه .

وفى تلك الاثناء كانت باتشيبيا قد أفادت من هول الصدمة . وعندما جاء جبريل عقب اطلاق الرصاص بخمس دقائق كانت باتشيبيا جالسة على الأرض بجوار جسد تروى وقد وضعت رأسه على ركبتيها .

ووقفت الفتيات والنساء متجاورات مع بعضهم البعض مثل الأعمام فى حالة حدوث عاصفة أما الرجال فكانوا مضطربين للغاية ولا يعرفون ماذا يفعلون .

**وقالت باتشيبيا :** يا جبريل . انطلق بالحصان بسرعة الى كاستربردج لاحضار طبيب .. واعتقد أن حالته خطيرة للغاية ومينوس منها . ومع ذلك أرجوك أن تذهب الآن على الفور . فقد أطلق المستر بولدوود النار على زوجي .

وجاء تعليقها على الحادث فى كلمات هادئة وبسيطة . ولكنها كلمات تركت تأثيرا أعنف مما لو قيلت فى انفجار وحشى . وانتظر جبريل للحظات قليلة لكى يسمع الحقائق المجردة فقط ثم أسرع ليضع

عند الطرف البعيد بالقرفة • ودخل الطبيب ليفحص  
الجسد بينما انتظر الآخرون بالخارج • وعندما خرج  
قال فى هدوء • لقد انتهى كل شيء كما قالت • فقد  
تم خلع الملابس عن الجسد وتم وضعه فى ملابس الدفن  
بطريقة سليمة •• يا الهى ان هذه الفتاة لها أعصاب  
من حديد بكل تأكيد !

**فهمس صوتها خلفهم : لا • انه مجرد قلب  
الزوجة •**

وفى تلك اللحظة ارتمت على الأرض فى اغماء •  
فنقلوها الى السرير وظلت ليدى الى جوارها لرعايتها  
وطوال الساعات الكثيرة الطويلة لتلك الليلة التعيسة  
سمعت سيدتها تتمتم فى ياس مريو : أوه • انها  
غلطتى ! كيف يتسنى لى العيش ! يا الهى ! كيف  
يمكن لى أن أعيش !

وعندما وصل الطبيب الى الباب الامامى لمنزل  
باتشيبا قابله ليدى وقالت له : لقد نقلوه الى غرفة  
النوم بالدور العلوى • وطلبت منى سيدتى ان أملا  
الحمام بالماء • وبعدئذ أغلقت الباب بالفتاح ولم تسمح  
لاى شخص بالدخول • ولكنها قالت لى ان أخبرها  
عندما تجىء يا سيدى •

وفى هذه اللحظة وصل جبريل مع الكاهن  
وصعدوا جميعا الى الدور الثانى • كان كل شيء صامتا  
مثل صمت القبور • وراحت ليدى تطرق على الباب  
فسمعوا باتشيبا تبصر القرفة • وعندما فتحت الباب  
كان وجهها يبدو هادئا الا انه كان باردا وجامدا مثل  
وجه آلهة الاغريق القدامى •

**وقالت : أوه هل وصلت أخيرا يا دكتور الدريرتش**  
•• لقد تم عمل كل شيء الآن ويمكن لى شخص فى  
العالم ان يشاهده الآن •

ثم مرت بجوارهم ودخلت غرفة أخرى •  
وتحت ضوء الشموع شاهدوا هيكلأ أبيض اللون

وقال جان كوجان : ولكننى لن أذهب الى المحاكمة  
وإننا أنصح باقى المجموعة من رجالنا بالابتعاد وعدم  
الذهاب لأن المستر بولدوود سينشعر بالضيق اذا  
شاهدنا هناك ونحن نحمق فى وجهه كما لو كان  
معروضا علينا للتعرف على شخصيته .

فوافق الآخرون على رأيه وانتظروا جميعا فى  
قلق حين حلول اليوم التالى . وفى تلك الأثناء تحول  
انتباههم الى اكتشاف تم التوصل اليه فى فترة مسا  
بعد الظهر . اذ ألقى هذا الاكتشاف المزيد من الضوء  
على سلوك بولدوود وحالته النفسية أكثر من أية  
تفاصيل أخرى كانت معروفة حتى ذلك الوقت .  
فأولئك الذين يعرفونه جيدا قد لاحظوا أن حالته  
أصبحت غير طبيعية ، ومليشة بالاثارة الشديدة وذلك  
منذ يوم السوق فى جرينهيل حتى حفلة الكريسماس  
ولكن جبريل وباتشيبا هما فقط اللذان قد لاحظا فى  
اوقات مختلفة أن توازن عقله قد تعرض للتشويش  
والاضطراب على نحو خطير للغاية .

## الفصل السادس والثلاثون

وفى صباح اليوم الأول من مارس . . وكان  
صباحا عاصفا خاليا من ضوء الشمس . احتشد  
جمهور عند قمة تل يالبرى . كان بعض الناس من  
وذبرى ، وبعضهم الآخر من كاستربردج . وكان ذلك  
الحشد يضم بعض كبار الموظفين الراكبين فى عرباتهم .  
وأخيرا شوهدت عربة أخرى آخذة فى الاقتراب ووصل  
قاضى المحكمة العليا وتم استقباله بطريقة رسمية  
تشريفية سليمة .

وقال جوزيف بورجراس عندما واصل الموكب  
المسير الى كاستربردج : كانت هناك رحمة فى عينيه !

تقرير طبي عن حالته العقلية . ولكن الناس أرسلوا خطابا جماهيريا موجها لوزير الداخلية . يطلبون فيه إعادة النظر فى قضية بولدوود مع ذكر الأسباب التى تدعو الى ذلك وذكروا فى خطابهم عبارات تدل على أن الجريمة كانت نابعة من اختلال عقلى وليست اغتصالا متعمدا .

وتحدد موعد تنفيذ الحكم شنقا فى تمام الساعة الثامنة من صباح السبت ، عقب مرور حوالى أسبوعين على تاريخ المحاكمة . وبحلول فترة ما بعد ظهر يوم الجمعة ، لم يصل من لندن أى رد على الرسالة الموجهة لوزير الداخلية .

وأضى جبريل ساعتين مع السجين ثم استودعه وأثناء عودته الى المنزل خرج نصف سكان القرية لللاقاته عند منتصف الطريق فقال لهم فى اعياء :

- ليست هناك أية أنباء جديدة . وأخشى ألا يكون هناك أى أهل . . ولكننى أريد منك يا ليمان أن تذهب بالحصان الليلة الى المدينة لتسأل مرة أخرى .

وقد تم اكتشاف مجموعة أشياء غير عادية فى دولاب معلق بالمفتاح . وكانت هذه الأشياء هى مجموعات عديدة من الأقمشة الحريرى الغالية الثمن، والتى لها نفس الألوان التى تفضلها باتشيبيا ، هذا بالإضافة الى فراءين جميلين . وعلاوة على ذلك كان هناك صندوق مجوهرات يضم : حلقتان ذهبية وقلادات ذهبية غالية الثمن . وكانت كل هذه الأشياء مغلقة بعناية فى شكل طرود مكتوب عليها : « باتشيبيا بولدوود » وعليها تاريخ محدد مقدما بعد ست سنوات .

وتلك التأملات الحزينة عن حالته العقلية كانت تتم مناقشتها بالحانة عندما عاد جبريل من كاستربردج ومعه أنباء عن المحاكمة . وكان وجهه معبرا عن الموقف لقد اعترف بولدوود - كما توقع الجميع - بارتكابه لهذه الجريمة وأصبح من المقرر اعدامه شنقا .

وكان كل شخص آنئذ وانقا أن لم يكن مسئولوا من الناحية الأخلاقية عن تصرفاته . ولم تكن هناك معلومات كافية قبل المحاكمة بحيث يأمر القاضى باعداد

**فقالت ليدى :** أمل أن ينجو بحياته .. انه اذا تم اعدامه ستفقد سيدتى عقلها وتصاب بالجنون . يا لها من انسانة مسكينة ! لقد تعرضت للمعاناة الرهيبة . فهى من سنتين فقط كانت فناة خالية البال بعيدة عن الهموم . ولكنها الآن قد تغيرت تماما بحيث لا يمكن للمرء الذى لم يشاهدها فى الآونة الأخيرة أن يتعرف عليها .

## الفصل السابع والثلاثون

وتماثلت باتعميبا للشفاء فى الربيع الا أنها ظلت منفردة بنفسها ووحيدة فى معظم الأوقات ، ولم تنطلق بحصانها لتفقد مزعتها على الإطلاق . وكانت تتجنب التحدث مع أى شخص بل ومع ليدى ذاتها . وبعدئذ وفى مساء أحد أيام أغسطس أخذت تتجول فى القرية لأول مرة منذ الكريسماس . وعندما وصلت فى سيرها الى فناء الكنيسة ، فتحت البوابة واتجهت الى الركن الذى دفنت فيه فانى روبين . وأشرق وجهها فى شيء من الرضا والارتياح عندما قرأت الكلمات

وانطلق لبيان تنفيذها للتعليمات الصادرة له . وفى تمام الساعة الحادية عشرة مساءً فى تلك الليلة خرج الجميع الى طريق كاستر بروج للملاقاة . وأخيرا ترامى الى سمعهم من بعيد أصوات وقع أقدام الحصان وبعدئذ سمعوا صوت لبيان وهو يصيح بأعلى صوته : لن يموت ! سيظل موجودا فى السجن الى أن يصدر أمر ملكى !

**فصاح جان كوجان مهللا فى فرح وابتهاج :**  
عظيم جدا ! ان عدالة السماء فوق كل شيء !

**وصاحت :** مستر أوك ! منذ متى كنت هنا ؟  
هل ستدخل الكنيسة ؟

- كنت أنوي الدخول الى الكنيسة . فأنا واحد  
من المنشدين . ولكن طالما أنك موجودة هنا فان هناك  
أمرا ما أريد أن اذكره لك . فأنا قد اضطر الى ترك  
العمل في مزرعتك بعد وقت قصير يا سيدة تروى .  
فأنا أفكر في ترك انجلترا . . ليس الآن ولكن في  
خلال موسم الربيع القادم !

**فقالت في دهشة واحباط شديد :** تترك  
انجلترا !!! لماذا يا جبرييل . . ولأى شيء تفعل  
ذلك ؟ . . فكل شخص يعتقد أنك ستأخذ مزرعة  
بولدوود وتديرها لصالحك . وعلى مسئوليتك !

- لقد عرض على ذلك . هذه حقيقة . ولكننا  
لم نتفق بعد ذلك . وأنا لدى الأسباب والدواعي التي  
تدعوني لمغادرة انجلترا . ولسوف انتهى من عملي  
هناك كمدير للمزرعة في نهاية السنة ولن أمد الفترة  
بعد ذلك !

المكتوبة على الشاهد الخاص بقبرها . كان الجزء  
العلوي من الشاهد مكتوبا عليه كلمات تروى التي  
كتبها في ذكرى فاني . وتحت تلك الكلمات وجهت  
الكلمات الجديدة التي تم نحتها على الشاهد . وفي  
نفس هذا القبر يوجد جثمان فرانسيس تروى سأل  
الذكر أعلاه مع وجود تاريخ يعقب تاريخ وفاة فاني  
بأربعة عشر شهرا .

وبينما كانت واقفة هناك ، صدحت أنغام  
موسيقية من داخل الكنيسة ، فاستدارت متجهة الى  
الباب ، وراحت تصغي . كان الباب مغلقا . وكان  
الأولاد بالداخل يتدربون من أجل صلوات يوم الأحد .  
وأحدثت النفمة التي يترنمون بها تأثيرا شديدا على  
وجدانها ومشاعرها فامتلات عيناها بالدموع . وسرعان  
ما انفجرت بدموع غزيرة ، وفي مرارة شديدة . ونظرا  
لأن وجهها كان مدفونا بين يديها فانها لم تلاحظ اقتراب  
هيكل منها . ولكنها عندئذ رفعت وجهها ونظرت  
لأعلى .

وبدأت تعاني من أسوأ الأمور عذابا .. تعاني من الاحساس بأنها محتقرة - وحل موعد الكريسماس التالى \* وفى صباح اليوم التالى تلقت خطابا رسميا يعلنها فيه رسميا بأنه سيتم ترك الخدمة عندها فى آخر شهر مارس \*

وجلست باتشيبيا وراحت تبكى بسبب وصول هذا الخطاب اليها \* وكانت قد بدأت تنظر الى حب جبريل الميثوس منه على أنه مماثل لحبها العديم الجدوى على مدى الفترات المتبقية من حياته \*

وشمرت بالاساءة لانه قد أنهى فترة حبه الفاشل على ذلك النحو ليصبح حرا طليقا ، ويبدأ حياة جديدة بعيدا عنها \* وكيف يمكن لها أن تدير شئونها بدونه ؟ .. وأحست بالنعاسة الشديدة كما شعرت أنها فى مسيس الحاجة الى الشفقة عليها والتعاطف معها حتى أنها قامت على الفور بارتداء عباءتها وقبعتها واتجهت نحو كوخ جبريل عقب غروب الشمس مباشرة وتحت الأشعة الشاحبة للقمر الجديد \*

- وكيف يمكن لى انجاز الأمور بدونك ؟ لقد ظلمت معى يا جبريل لفترة طويلة للغاية وعشنا معا الأيام الحلوة والأيام المرة العصبية \* واصبحنا صسديقين حميمين \* ثم بعد ذلك تريد أن تتركنى وتذهب بعد أن أصبحت لا حول لى ولا قوة أكثر من أى وقت مضى !

فقال جبريل فى حزن وكآبة **بمعنى** \* وذلك هو الحظ العائر فى هذا الأمر \* **لا بأس بك** وعجزك وضعفك هو الذى يجعلنى أشعر بضرورة الذهاب .. طاب يومك يا سيدتى !

وترك فناء الكنيسة سالكا مررا بحيث لا يمكنها السير وراءه تحت أى ادعاء مهما كان السبب \*

وبدا عليه على مدى الشهور القليلة التالية انه يحاول تجنبها بقدر ما يستطيع \* وعندما كان يريد منها شيئا كان يبعث لها برسالة أو ورقة لا تحمل توقيعها وكانت هى ترد عليه بنفس هذه الوسيلة \*

ثم جلست على الكرسي وجلس هو الآخر  
وراحت أضواء النيران تتراقص فوق وجهيهما .  
ولكنهما شعرا بالارتباك والحرج والحجل . فهما  
عندما كانا يلتقيان في الحقول أو في منزلها لم يكن  
يعترها أى قلق أو ارتباك ولكن ما أن اضطر جبريل  
للترحيب بها كضيفة فى منزله حتى شعرا سويا كأنهما  
غرباء .

**واستطردت هي قائلة :** يا جبريل . اننى أشعر  
أننى قد أسأت اليك بشكل أكيد ، وأن هذا هو السبب  
فى أنك ترغب فى ترك البلاد والابتعاد عنى . وأنا  
قد تضايقت كثيرا حتى أننى قررت المجيء اليك !

- أسأت الى ؟ كيف تسيئين الى يا باتشيبا ؟  
ومع ذلك فانا لن أترك البلاد . فسوف أصبح سيذا  
على مزرعة وذبرى السفلى . وكنت أنوى الاستمرار  
فى ادارة شئون مزرعتك فى نفس الوقت مثلما كنت  
أفعل من قبل لو لم يقل الناس كلاما عنا سويا !

وكانت أضواء النيران تسطع من احدى النوافذ ،  
الا أنها لم تشاهد أحدا بالداخل ، فراحت تطرق  
فى عصبية . ففتح جبريل الباب وسطع القمر  
على وجهه .

**وقالت باتشيبا فى ضعف واعياء :** المستر

أوك ؟

**فقال جبريل :** نعم أنا المستر أوك . . من أنت ؟  
. . أوه . . يا لى من شخص غيبى لأننى لم أعرفك على  
الفور يا سيدتى . تفضل بالدخول ! . . سوف أحضر  
مصباحا . من النادر جدا أن تزورنى سيده ولذالك  
فأنا لا أحتفظ عبدي بكرسى وثير مريح . فجميع  
الكراسى عبارة عن مقاعد خشبية . ولكن تفضل  
بالجلوس !

وأحضر كرسيا لها لكي تجلس عليه .

**فقالت :** لا داعى لأن تتعب نفسك بشأن ضرورة

احضار مصباح .



– لو سمحت . لقد قلت [ من السخف للغاية ]  
وأنا أقول أيضا انه من السخف للغاية أن يتم ذلك !

فقال وقد امتلأت عينها بالدموع : معذرة  
آسفة . كل ما كنت أعنيه هو [ في وقت قريب للغاية ]  
وهذا هو ما كنت أقصده حقا . ويجب عليك :  
تصدقني !

وهنا نظر جبريل نظرة عميقة في وجهها وقال  
في حنان وهو يقترب منها : يا باتشيبيا . أود أن أعرف  
شيئا واحدا . أود أن أعرف ما إذا كنت ستسمحين لي  
بأن أحبك وأن أتزوجك برغم كل شيء . لو كنت فقط  
أعرف ذلك !؟

فألت باتشيبيا في تمهة هادئة : ولكنك ل  
تعرف مطلقا لأنك لا تسأل مطلقا .

فصحك جبريل في ابتهاج وسعادة : أوه . أوه  
يا عزيزتي . . .

فقاطعت باتشيبيا قائلة : ما كان ينبغي عليك إن

فألت باتشيبيا في دهشة : ماذا ! يقولون كلاما  
عني وعنك ؟ ماذا يقول الناس عني وعنك !؟

فقال جبريل : وهو شيء حقيقي تماما أيضا ! فانا  
أقيم هنا في هذا المكان منتظرا الحصول على مزرعة  
بولدوود المسكين بهدف الزواج منك في يوم ما . هذا  
هو الكلام الذي يقولونه . وأنت قد طلبت مني أن  
أقص عليك ما يقوله الناس ولذلك يجب عليك ألا تلقي  
باللوم على .

ولم يظهر الانزعاج الشديد على وجه باتشيبيا  
منلما كان جبريل يتوقع . إذ قالت باتشيبيا في  
هدوء : من أجل الزواج مني ؟ . . . انه من السخف  
التفكير في مثل هذا الأمر في وقت قريب للغاية .

– نعم . انه من السخف بالطبع . وأنا لا أرغب  
في أي شيء من هذا القبيل . فانت آخر انسانة في  
العالم أفكر في الزواج منها !

– ان ما قلته هو : [ في وقت قريب للغاية ] .

فأنا قد تتبعتك وسرت وراءك .. مثل الكلب المخلص  
على مدى أميال عديدة طويلة .. وأيام ممتدة لا نهائية  
.. يا حبيبتي الجميلة باتشيبيا .. ولا يمكن لك أن  
تندمي أو تتذمري بسبب قيامك بهذه الزيارة الوحيدة !

ترسل الى ذلك الخطاب القاسى فى هذا الصباح . لقد  
كنت قاسيا للغاية معى . لأننى كنت أول حب لك  
وأنت كنت أول حب لى . ولن أنسى هذه الحقيقة  
الساظمة !

**فقال ضاحكا :** أنت تحاولين مضايقتى الان  
يا باتشيبيا .. فأنت تعرفين الأسباب التى دعتنى الى  
ذلك . فأنا كنت أقوم بعمل صعب حيث كنت أدير  
المزرعة لامرأة شابة وجميلة وجذابة . خاصة وأن الناس  
كانوا يعرفون اننى مفرم بك . وقد خشيت أن الكلام  
الذى قالوه قد يضر باسمك وسمعتك .

**فصاحت :** أكان ذلك هو كل ما فى الأمر ؟ كم أنا  
مسرورة الآن لأنى قد جئت إليك ! والآن ينبغي على أن  
أعود الى منزلى والا سيقوم الناس بالبحث عنى !

**ثم أضافت ضاحكة :** لماذا يبدو الأمر يا جبريل  
وكاننى قد جئت إليك هنا لأطلب منك أن تتزوجنى ؟  
يا له من شىء مريع !

**فقال جبريل :** وهو شىء حقيقى تماما أيضا !

الذى كان قد عين مؤخرا كاتباً للابرشية ، وأصبح عليه  
تسجيل جميع حالات الزواج .  
قال جبرييل : حسن . مساء الخير يا جان اننى  
ذاهب فى هذا الاتجاه !

فقال جان مندهشاً : اوه ! ما الذى يحدث فى هذه  
الليلة ؟ هل لى أن أسألك ؟

وبدا لجبرييل انه من غير الملائم ألا يخبر جان ،  
لأن جان قد سيانده بأخلاق طوال فترات تعاسته مع  
باتشيبا فقال له : هل يمكنك أن تحفظ السر يا جان ؟  
- أنت جربتني من قبل وأنت تعرف عنى أنتى  
احتفظ بالسر ولا أفشى الأسرار مطلقاً !

- نعم . أعرف عنك ذلك . حسن اننى وسيدتنا  
نفوى الزواج فى صباح الغد !

- يا الهى ! لقد فكرت فى مثل هذا الأمر .  
ولكنك كنت ملتزماً بالهدوء الشديد . أتمنى لك  
السعادة يا جبرييل !

## الفصل الثامن والثلاثون

« أريد احتفالاً مغلقاً وسرياً ومبسوطاً للغاية » .  
كانت تلك هى رغبات باتشيبيا . وكان أول شىء ينبغى  
على جبرييل انجازه هو الحصول على تصريح رسمى  
بالزواج الفورى . وبدون اعلام جماهير الناس عن ذلك  
بالكنيسة كما هو معتاد .

وبعد ليال قليلة وأثناء عودته من كاستربردج  
عقب الحصول على التصريح ووضعه فى جيبه تقابل مع  
جان كوجان ، فساروا سوياً عبر القرية الى أن وصلا الى  
حارة تقع خلف الكنيسة ، وتؤدى الى كوخ ليبان تول

وسرية • وبعد أن قاما بزيارة قصيرة للكاهن قال كل منهما للآخر « طابت ليلتك » وذهب جبرييل الى كوخه لكي يعد كل شيء من أجل صباح الغد •

وفي تلك الأثناء كانت باتشيبا قد طلبت من ليدى أن توقظها في الساعة السابعة صباحا بدون أن تذكر لها السبب في ذلك • ولكنها استيقظت من تلقاء نفسها في الساعة الرابعة صباحا • ولم تستطع استئناف النوم مرة أخرى • وبحلول الساعة السادسة شعرت كأن ساعتها قد تعطلت وتوقفت عن السدق ولم تستطع الانتظار أكثر من ذلك • فراحت تطرق على باب ليدى ، وأصرت على أن الوقت قد حان للبدء في تمشيط شعرها وتسويته بالفرشاة •

وعندما جاءت ليدى لم تفهم الأسباب التي تدعو الى كل هذا التسرع والعجلة •

**فأقالت باتشيبا وقد أطلت من عينيها اللامعتين ابتسامة مازحة : حسن • سأقول لك السبب في هذا التسرع •• ان المزارع أوك سيحضر الى هنا ليتناول طعام الغداء معي اليوم !**

– شكرا جزيلا لك يا جان • ونحن لم نكن نريد اللجوء الى مثل هذا التكتم الشديد والسرية التامة • ولكن بعد كل الأحداث الرهيبة التي حدثت أصبح من غير الملائم أن نقيم احتفالات مرحة وبهيجة بمناسبة هذا الزواج • وباتشيبا لا تريد لكافة جماهير القرية أن يحضروا الى الكنيسة • وحقيقة الأمر أنك اذا نظرت لها ستدرك أنها خجولة من ذلك الأمر بعض الشيء • ولذلك فانا التزم بكتمان الخبر احتراما لرغبتها ، وللمجرد أن أدخل عليها السرور • ولكنك يمكنك أن تجيي معي الآن لنقابل ليان • فمن المؤكد أنه سيكون عند باب الكنيسة في تمام الساعة العاشرة •

**وقال جان أثناء سيرهما سويا : أخشى ان تضيق كل جهودك ومحاولاتك للتكتم وابقاء هذا الموضوع في سرية تامة • لأن زوجة ليان ستبادر الى ابلأغ كافة الناس في الأبرشية في خلال نصف ساعة • ولكنك اذا تركت هذه المسألة لأعالجها بنفسى فانى سأنجز كل شيء بدون أن تعرف هي أى شيء !**

وسرعان ما تم انجاز هذا الموضوع في أمان

ليبان تول وليدى والكاهن . وتم اتخاذ اجراءات عقد  
الزواج فى وقت قصير للغاية .

وفى مساء ذلك اليوم جلس جبريل وباتشيبا  
فى غرفة الجلوس فى هدوء تام لتناول الشاي . وكانا  
قد قررا الاقامة سويا فى منزل باتشيبا نظرا لأن كوخ  
جبريل غير ملائم لاحتياجاتهما . وما أن بدأت  
باتشيبا تصب الشاي فى فنجان حتى انطلقت  
الرصاصات مدوية من البنادق لتحىي آذانها أمام المنزل  
وأعقب ذلك النفخ العنيف فى الأبواق الموسيقية .

**فقال جبريل ضاحكا :** ها هم قد عملوها ! لقد  
أدركت أن أولئك الزملاء كانوا يدبرون لعل شىء ما  
بمجرد أن رأيت وجوههم بعد ظهر هذا اليوم !

ثم أمسك بالمصباح وخرج اليهم فسارت وراءه  
باتشيبا . وسقط ضوء المصباح على وجوه مجموعة من  
الرجال وعندئذ هتفوا هتافات مدوية على الفور .  
وفى نفس اللحظة انطلقت البنادق مدوية مرة أخرى  
كخلفية صوتية للهتافات . ثم دوت الموسيقى الصاخبة

**فتساءلت ليدى فى نوع من الشك والريبة :**  
المزارع أولك ؟ بمفرده وبدون أن يكون معه أى شخص  
آخر ؟ وهل من الحكمة أن يجيى بمفرده يا سيدتى ؟  
فضحكت باتشيبا وهمسست فى اذن ليدى رغم أنه  
لم يكن هناك أى شخص آخر موجود بالقرب منهما .  
**وبعدئذ حملت ليدى وصاحت :** يا الهى ! يا لها من  
أخبار مفاجئة ! انها تدفع قلبى الى السدىق مثل شىء  
مجنون !

**فقالت باتشيبا :** وهى تدفع قلبى أيضا الى الدق  
فى جنون ووحشية بعض الشىء . ولكن لا مفر الآن !  
كان الصباح رطبا وغير بهيج . وفى تمام الساعة  
العاشرة الا الثلث طرق جبريل باب باتشيبا . .  
وبعد عشر دقائق انطلقا سويا سيرا على الأقدام فى  
الحارة المليئة بالضباب متجهين الى الكنيسة .

وكانت باتشيبا قد رتبت شعرها بنفس التسريحة  
القديمة التى ظهرت بها من قبل فوق تل نوركومب  
وذلك بناء على رغبة جبريل . وفى الكنيسة كان هناك

المجنونة من فرقة القرية الموسيقية . ثم سار العازفون والهاقون ومطلقو النيران مقتربين من الباب .

**فقال جبريل :** تفضلوا جميعا بالدخول لكي تتناولوا الطعام والشراب معي ومع زوجتي !

**فقال مارك كلارك معتلدا :** شكرا جزيلا . لا داعي لآعاجكم في هذه الليلة . سنحضر لكما في وقت آخر مناسب ولكننا لم نشأ أن ندع اليوم يمر بدون أن نقدم لكما التهنة الحارة . والف مبروك . وعلى كل حال نكون شاكرين اذا تفضلتم بإرسال بعض المشروبات المنعشة لنا في الحانة . مع أطيب تمنياتنا بحياة طويلة هانئة للزميل أوك وزوجته الفاتنة الجميلة !

**فقال جبريل :** شكرا . شكرا لكم جميعا . ولسوف أرسل لكم المشروبات على الفور الى الحانة . . لقد توقعت الحصول على نوع ما من أنواع التحية من جانب أصدقائنا القدامى . وقلت توقعتاني هذه لزوجتي منذ لحظات قليلة .

**فقال جان كوجان بصوت فكاهي وهو يستدير**

**نحو زملائه :** حسن ! ان الرجل قد تعلم كيف ينطق كلمة « زوجتي » بطريقة طبيعية للغاية تدعو للدهشة اذا وضعتم في الاعتبار هذه الفترة القصيرة للغاية التي أمضاها في الحياة الزوجية . اليس كذلك يا جيراني !؟

**فقال جاكوب سمولبري موافقا على ذلك القول :**

لم اسمع في حياتي على الإطلاق أى شخص متمرس في الحياة الزوجية منذ عشرين عاما ينطق كلمة « زوجتي » بطريقة طبيعية أكثر منه . وربما كان الأمر سيصبح أكثر تمشياً مع الطبيعة وأكثر صدقا لو أن هذه الكلمة قد نطقت ببرود أكثر . ولكن ذلك لم يكن متوقعا الآن !

**فقال جان وهو يدير عينيه :** ذلك التقدم سيأتي

بمرور الوقت .

وهنا ضحك جبريل وابتسمت باتشيبيا ، اذ لم تكن راغبة في الضحك الآن على الإطلاق . . ثم استدار أصدقاؤها وساروا مبتعدين نحو القرية .